الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

منشورات جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان

جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان

أسست عام ١٩٦٤ بالعلم والخبر رقم ٥٠/ أ د
عضو عامل في المنظمة العالمية لقدامى الكشافين والمرشدات
عضو مؤسس للاتحاد العربي لقدامى الكشافين والمرشدات
عضو مؤسس للاتحاد العالمي للكشاف المسلم

هي هيئة اجتماعية ثقافية غايتها:

* جمع شمل قدامى الكشافين والمرشدات والمحافظة على الروح الكشفية حية في نفوسهم.
* دعم الحركة الكشفية والارشادية في كل من جمعيتي «الكشاف المسلم في لبنان» و«مرشدات الكشاف المسلم في لبنان» وفي الجمعيات الكشفية اللبنانية.
* احترام حقوق الإنسان ومشاعره.
* دعم السلام القائم على الحق والعدل لإيجاد عالم يسوده الأمن والاخاء.

[المادة الرابعة من النظام الأساسي للجمعية]

دأبت الجمعية على القيام بالأعمال التالية:

أولاً ـ تحقيق التراحم والتكافل في المجتمع الإسلامي من خلال اهتمامها بالأيتام والأرامل والمعاقين والمُعسرين.

ثانياً ـ توفير الدعم للجمعيات الكشفية والارشادية التي تعنى بتنمية قدرات الأفراد لتوظيفها في خدمة المجتمع الإسلامي.

ثالثاً ـ توفير العون للجمعيات الإنسانية التي تهتم بالناشئة الإسلامية وتأمين بعض احتياجاتها لتأدية رسالتها.

رابعاً ـ دعم «مشروع لباس الكشاف المعسر والمرشدة المعسرة» الذي اطلقته الجمعية منذ سنوات، وهو يؤمن لأعداد كبيرة من الفتية والفتيات انتسابهم إلى الحركة الكشفية والارشادية إذا كانت امكانات ذويهم لا توفر لهم ذلك.

خامساً ـ اقامة المحاضرات والندوات الدينية والفكرية والتربوية والقانونية والعلمية.

سادساً ـ المشاركة بأعمال ونشاطات الاتحاد العربي لقدامى الكشافين والمرشدات والمنظمة العالمية لقدامى الكشافين والمرشدات على الصعيدين الاقليمي والعالمي.

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

تسعى الجمعية بدعم ومؤازرة الخيّرين:

* لامتلاك مقر للجمعية، يكون منتدى لأعضائها ومنبراً ثقافياً وخلية لنشاط دائم لخدمة المجتمع، وتلبية بعض احتياجاته.

* لإقامة دورات تدريبية سريعة لإكساب الخبرات الأساسية للأعضاء وأبنائهم وللراغبين في: الكهرباء ـ النجارة ـ السنكرية والكومبيوتر.

* لتأسيس «جمعية القلب الأحمر اللبناني» وإنشاء مستوصف خيري، يقومان على خدمة المواطنين المعسرين، وتأمين الطبابة والعلاج المجاني لهم.

* لإحياء المناسبات الإسلامية وتنظيم دورات تحفيظ وتلاوة القرآن الكريم.

* للتعريف برواد الحركة الكشفية وتكريمهم، وكذلك الرواد في مجالات التربية والاجتماع والفنون والأدب والرياضة.

* للدعوة إلى طاولة مستديرة يحضرها الوزراء والمسؤولون والمعنيون بالحركة الكشفية، للبحث في واقع الحركة وواجب دعمها لتمكينها من أداء دورها الطليعي في معالجة إفرازات الحرب وخدمة المجتمع.

﴿ ليس البرَّ أن تُوَلُّوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين﴾

الهيئة الإدارية

☐ رئيس الجمعية	القاضي عصام بارودي
☐ نائب الرئيس	القاضي الدكتور سهيل بوجي
☐ الأمين العام	يوسف دندن
☐ أمين العلاقات الخارجية	المهندس رشيد مومنه
☐ أمين الصندوق	محمد تيسير كمال
☐ المراقب المالي	إبراهيم الكستي

هيئة الأمانة العامة

☐ الأمين العام	يوسف دندن
☐ الأمين العام المساعد	المحامي مروان الديك
☐ الأمين الإداري	الشيخ مروان الشعّار
☐ أمين العلاقات العامة	رفيق نصولي
☐ أمين فرع الجنوب	ممدوح الكردي
☐ أمين فرع البقاع	الدكتور أحمد الططري

اللجان العاملة في الجمعية

- ☐ لجنة تنمية العضوية
- ☐ لجنة الاعلام
- ☐ لجنة النشاطات
- ☐ لجنة الصحة والبيئة
- ☐ لجنة التمويل
- ☐ اللجنة القانونية
- ☐ اللجنة الثقافية

- عنوان الجمعية:
  المقر العام لجمعية الكشاف المسلم - كورنيش المزرعة - مفرق الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي
  هاتف: ٣٠١٤٥٧ ص.ب: ٧٤٥٤- ١١ - بيروت لبنان

- تقبل التبرعات:

  في حساب الجمعية: لدى البنك السعودي اللبناني ش.م.ل. (جوستينيان - بيروت) رقم (٢١٥٣٩ - ٠٠ - ٠٤ - ٠٠)

  لدى أمين الصندوق: الحاج محمد تيسير كمال
  هاتف: ٦٣٢٠١٩ - ٣١٨٦٤١ - ٣١٥٧٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم: الأستاذ الحاج يوسف دندن

الأمين العام

لجمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان

يسرّ جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان ويسعدها أن تضع بين أيدي أعضائها وعضواتها، وأصدقائها وصديقاتها، وزملائها وزميلاتها، من كشافين عاملين، ومرشدات عاملات، بالإضافة إلى سائر المواطنين اللبنانيين والعرب، مسلمين ومسيحيّين، في هذا الكتيّب الصغير، نصّ المحاضرة الجامعة الشاملة التي ألقاها بدعوة من الجمعية، المفكر الإسلامي الأستاذ بشير العوف، في قاعة الأستاذة حسّانة فتح الله الداعوق (بمبنى جمعية العناية

بالطفل والأم في بيروت) وذلك في الساعة الخامسة من مساء الجمعة ١٥ رجب ١٤١٣ الموافق ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٣ وكانت بعنوان:

التعاون والتعاطف

بين المسلمين والمسيحيين
ضرورة دينيّة حضاريّة

وفي الموعد المحدّد، غصّت القاعة الفسيحة بجمهور كبير من المستمعين والمستمعات، تتقدمهم جمهرة كبيرة من السادة العلماء، وعدد وفير من الرهبان والمستشرقين وأساتذة الجامعات اللبنانية والعربية واليسوعية، بالإضافة إلى عدد كبير من السياسيين والأدباء والصحفيين وكبار المفكرين، فكان هذا دليلاً على رغبة اللبنانيين والمقيمين على أرض لبنان، في أن يعود للبنان إشعاعه وانفتاحه، وخاصة بين المسلمين والمسيحيّين، بعد حرب داخلية رهيبة دامت سبعة عشر عاماً، وأكلت الأخضر واليابس، وكادت أن تهدم منابر الاشعاع ومنائر الانفتاح، بعد أن ألبسها المنتفعون

والأغيار والمأجورون لبوس الجرب الدينية، بين مسلمين ومسيحيّين، مع أن الله يشهد أنّ هذا كان أبعد ما يكون عن طبيعة اللبنانيين جميعاً دينياً، وفكرياً، وتراثياً... ولكن ماذا نصنع؟! إنها هي السياسة، وقاتل الله السياسة حين تكون أداة تجارة وسمسرة واستغلال وآجار واستئجار، وهذا هو بالضبط الاسم الذي يجب أن يُطلق على حرب لبنان الداخلية، التي لا دخل فيها على الاطلاق للمؤمنين الصادقين من أتباع سيدنا محمد بن عبد الله، وسيدنا عيسى بن مريم عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

* *

إن هذا يفسّر لنا سرّ الاقبال الكبير على الاستماع إلى هذه المحاضرة القيّمة، كما يفسّر لنا رغبة اللبنانيين جميعاً في العودة إلى أصالتهم التقليدية العريقة، القائمة على مبادىء الوحدة والتوحّد. في ظِلّ عدالة وطنية واجتماعية مؤمنة. ذات عيش مشترك وتعاون متبادل، لا فرق بين مسيحيّ ومسلم إلّا بتقوى الله. والاخلاص للدين والأمة

والوطن، وهو نفسه ما دعانا إلى إصدار هذه المحاضرة بكتاب صغير مستقلّ من منشورات «جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان» تلبيةً للرغبات الكثيرة التي انهالت علينا من أصدقاء وأعضاء كُثُر، طالبين الحصول على نصّ المحاضرة الكامل تعميماً للنفع، واستكمالاً للفائدة. وها هي الآن بين أيدي جميع القراء، آملين أن نبقى دائماً عند حسن ظنهم، وراجين من الله تعالى أن يجعل عملنا كلّه خالصاً لوجهه الكريم.

* * *

في الساعة الخامسة تماماً ابتدأ الاحتفال، فاعتلى المنبر المحاضرُ الأستاذ بشير العوف وجلس عن يمينه سعادة السفير الأستاذ صلاح عبوشي. وعن يساره سعادة الأستاذ محمود الحبال، وتتابعت الكلمات المناسبة التي قابلها جمهور المستمعين بالترحيب والتقدير، ونفصّل ذلك فيما يلي من الصفحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت ١٠ شعبان ١٤١٣ — الأمين العام
١ شباط (فبراير) ١٩٩٣ — يوسف دندن

كلمة سعادة السفير
الأستاذ صلاح عبوشي

تكلّم أولاً سعادة السفير الأستاذ صلاح عبوشي، فأعلن افتتاح موسم محاضرات «جمعية قدامى الكشاف المسلم» لعام ١٩٩٣ بمحاضرة للمفكّر الإسلامي الأستاذ بشير العوف، واغتنم المناسبة ليتحدث بأسلوب الدبلوماسي البارع، والمفكّر المبدع، عن تراث لبنان الحضاري، ومختلف نشاطاته العلمية والفكرية والثقافية، لا على الصعيد اللبناني فحسب، بل على مختلف الصُّعد العربية والإسلامية والإنسانية أيضاً، كما تحدَّث بشيء من الاسهاب عن نشاطات «جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان» بالمحافظة على بقاء الروح الكشفية النقية، حيّة في نفوس الجميع، من ناحية احترام حقوق الإنسان كإنسان، مهما يكن دينه ولونه وجنسه ووطنه، مع دوام السعي إلى

تحقيق مبادىء العدل والسلام بين جميع البشر، حتى يتحقق إيجاد عالم يسوده الأمن والرخاء.

وبعد أن أثنى سعادة السفير العبوشي على جهودالأستاذ المحاضر بشير العوف، في ميادين الفكر والصحافة والقلم، دعا الأستاذ الكبير السيد محمود الحبال لتقديم المحاضر بكلمة مناسبة، فبادر الأستاذ الحبال الى إلقاء كلمته التي سنوردها بنصها بعد هذا الكلام.

* * *

الأستاذ الكبير محمود الحبال

يقدم الأستاذ المحاضر بالكلمة الآتية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة

الدين الإسلامي سهل ويسر كله، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قوله: «إنَّ هذا الدِّين متين،ولن يُشادّ الدِّينأحد إلاَّ غلبه»، والدين لا يأمر إلا بخفض الجناح ولين الجانب والخير المحض، والدِّين يحتِّم على المؤمنين أن يحبُّوا لغيرهم ما يحبُّون لأنفسهم، والدِّين يدعو الناس إلى الحق، ويأمرهم بأن يبلِّغوه لغيرهم بأسهل الطرق، لأنَّ الله لا يكلِّف نفساً إلاّ وُسْعها.

وكان النبي صلوات الله عليه يدعو الناس إلى الله بالبيِّنات والذِكر الحكيم، ويلاطفهم ويتألَّفهم ويمهلهم،

ولا يـأخـذه الغضب، ولا يـرهقهم حتى تـزول شكـوكهم بالبراهين التي تناسب عقولهم وتقبلها أذهانهم.

هـذا ما يجب أن يكـون شأننـا معشر المسلمين، فـلا تضمـر لأحد سـوءاً، فقد جـاء قول الله تعـالى في القـرآن الكـريم: ﴿أدْعُ إلى سبيـل ربِّـك بـالحِكمـة والمـوعـظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾.

ومن ذلك يتبين لنا أنَّ مقاصد الإسلام طلب الخير لكلِّ النـاس، على اختـلاف المـذاهب والأديـان، ودفـع الشـرّ عنهم، وترك الحرية للضمير حتى يظهر الحق.

ولا يصحُّ لأحد أن يُحرم أخاه في الإنسانية نعمةً أنعمها الله عليه، بل الـواجب أن يشارك النـاس بعضهم بعضاً في النِّعم ومزاياها.

قال تعالى في سورة الحجرات:

﴿يا أيُّها الناس إنَّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائِلَ لِتعارفوا، إنّ أكْرمكم عند الله أتقاكم﴾.

فالإسلام كما قلنا، دين متين صالح لكلِّ زمان ومكان، ولا خوف عليه، فالله حافـظه على الرغم من مكـائد بعض المستشرقين الذين ألَّفُوا مئات ومئات من الكتب، يهاجمُون فيها الإسلام ونبيّ المسلمين، ومع ذلك فـربُّ العِزَّة يقـول في كتابه الكريم: ﴿يا أهْلَ الكتاب تَعـالَوْا إلى كلمـةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ الله، ولا نُشْرِكَ به شيئاً، ولا يتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

أيُّهـا السيدات والسـادة، هذا هـو الدِّين الإسـلامي، وهذه هي سماحته، فهو دينُ البشرية كافَّة، وهو يدعو الناس ـ كل الناس ـ إلى التعارف والمحبَّة، ولا إكراه فيه، وهو يمدُّ يده للمتعاونين لمعرفة الحقِّ والعمل به.

نكتفي بهذه المقدِّمة، ونترك التوضيح والإسهـاب في الموضوع إلى الأستـاذ بشير العـوف «المفكِّر الإسـلامي، والكاتب والخطيب والأديب العربي».

ـ كـان مديـراً مسؤولاً لجريـدة الأيام الـدمشقية، ثم أصـدر جريـدته السيـاسية المستقلة «المنـار» عام ١٩٤٩،

وظلَّ رئيساً لتحريرها ومديرها المسؤول مدة أربع عشرة سنة.

ـ صدر للأستاذ العوف أكثر من عشرين كتاباً في الفكر الإسلامي والسياسة الإسلامية والأدب والقِصَّة، وله أربعة دواوين شعرية مطبوعة، وقد صدر له أخيراً كتاب «تعاليم الإسلام بين الميسِّرين والمعسِّرين»، وقد أحدث هذا الكتاب ضجَّة على صعيد الفكر الإسلامي.

ـ عمل كأستاذ زائر في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدَّة، (معهد الاعلام) عام ١٩٨٠.

ـ حائز على وسام الكومندور من جلالة الملك محمد الخامس عاهل المملكة المغربية.

ـ حائز على الجائزة الأولى والمرتبة الأولى في مسابقة الملك فاروق للصحافة الشرقية عام ١٩٥٠.

ـ حائز على شهادة تقدير، لجهوده في خدمة الحركة الصحفية من اتِّحاد الصحفيين في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٩٢.

ـ دُعي إلى المؤتمر الإعلامي الإسلامي في إندونيسيا عام ١٩٨١، واختير عضواً في المجلس الأعلى العالمي للإعلام الإسلامي.

ـ فاز بالنيابة عن دمشق في مجلس الأتحاد القومي عام ١٩٥٨ في عهد الوحدة السورية المصرية.

ـ شارك كصحفي في معظم مؤتمرات القمة العربية الإسلامية وعدم الانحياز، كما شارك في معظم مؤتمرات وزراء خارجية الدول العربية والإسلامية.

ـ كتب أكثر من خمسة آلاف مقال في السياسة والأدب والفكر الإسلامي، نُشِرَ أكثرها في جريدة «المنار» ثم في الصحف والمجلات اللبنانية والسعودية والعربية المختلفة.

ـ له أكثر من مئتي حديث إذاعي في الأدب والقِصَّة والشعر، أذاعها من إذاعة لندن وإذاعات دمشق والبلاد العربية.

واعتلى المنابر الثقافية والأدبية والفكرية والإسلامية، وهو عضو في الهيئة العامة لجمعية قدامى الكشَّاف المسلم في لبنان، فهو كشَّاف قديم، كان قائداً لفرقة المأمون في

كشاف سورية بدمشق، وعضواً في اللجنة الإدارية العليا لكشاف سورية عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢م.

والأستاذ بشير العوف منكبٌ في الوقت الحاضر على مواصلة البحث والتأليف والنشر، ويكتب مقالات فكرية وسياسية ينشرها في الصحف والمجلات الصادرة في بيروت والسعودية ومعظم البلاد العربية.

والخلاصة، فالأستاذ بشير العوف داعية إسلامي من طراز جديد، وعلى جانب كبير من المعرفة بالأصول الإسلامية، وهو لولب متحرك لا يهدأ دفاعاً عَنِ الإسلام والمسلمين، ولي الشرف أن أُقدِّمه لكم ليحدِّثنا عن:

[التعاون والتعاطف بين المسلمين والمسيحيين كضرورة دينية وحضارية].

فليتفضل.

* * *

التعاون والتعاطف

بين المسلمين والمسيحيين

ضرورة دينية حضارية

استهلّ الأستاذ المحاضر محاضرته بكلمة موجزة، شكر فيها «جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان» التي أتاحت له الالتقاء بهذه الجمهرة المفكّرة الواعية من كرام المواطنين، كما خصَّ بشكره الجزيل كلاً من السادة الكرام الأستاذ يوسف دندن الأمين العام لجمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان وسعادة الدبلوماسي السفير الأستاذ صلاح عبوشي وسعادة المربي الإسلامي الأستاذ محمود الحبال، على ما تفضّلوا به من جميل التقديم وكريم التقدير، كما خصّ «جمعية العناية بالطفل والأم» ممثلة برئيستها الأستاذة حسّانة فتح الله الداعوق بكبير الشكر والثناء. هذه الجمعية التي جعلت من قاعتها الكبيرة دارة علم وفكر وثقافة وأدب، وختم بشكر الحاضرين جميعاً وأثنى على تجشمهم عناء الحضور في هذه الليلة الباردة الممطرة، ثم بدأ محاضرته فقال:

نص محاضرة

الأستاذ بشير العوف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة:

زميل صحفي صديق عزيز، جاءني يوماً، يحمل بيده قصاصات من صحفٍ ومجلاتٍ عربية وأجنبية مختلفة، تضمنت كلُّها أخباراً ومعلومات عن نشاط وأعمال المبشِّرين النَّصارى في مختلف أنحاء الأرض عامة، وفي بلاد العالم الإسلامي خاصّة. كما تتضمن أيضاً معلومات عن الأرقام الهائلة للأموال الكثيرة التي تخصِّصها الكنائس المختلفة العائدة لمختلف الطوائف المسيحية المنتشرة في كل مكانٍ من العالم، من أجل دعم التبشير بمختلف الوسائل «الإقناعية» التي تحاول أن تتسلَّل إلى النفوس عن طريق إنشاء المدارس المتخصصة والمستشفيات والمستوصفات، والمؤسسات الخيرية والاجتماعية والإنسانية، أو عن طريق الندوات والمحاضرات، واستخدام التلفزيونات والإذاعات، وتوزيع الكتب والنشرات بمختلف لغات العالم، إلى آخر ما هنالك من

وسائل إعلامية عديدة، تبدأ من اتصال شخص مبشِّر بشخص مستعدّ لقبول التبشير، وتنتهي باستخدام الأجهزة الحديثة، التي تستخدم كل طاقات الأثير، عبر الاتصالات السلكية واللاسلكية حتى الأقمار الاصطناعية... كُلُّ ذلك من أجل التبشير بالدين المسيحي، ودعم الحركات التبشيرية فوق كل مكان، من سطح الكرة الأرضية.

عِداء وكره... وأعصاب باردة!!

وراح هذا الصديق العزيز ينحي باللائمة على الأمم النصرانية كلّها، ويعتبر ذلك اعتداءاً صارخاً ومستمراً على الإسلام والمسلمين، وإني لا أُذيع سراً إذا قلت إنه راح أيضاً يكيل لهؤلاء الناس الكلام الذي يتناسب مع هياجه واندفاعه وحماسته، حتى أفرغ كلّ ما في جعبته من حزنٍ وألم.

وأخيراً، ثارت ثائرته عليّ، وراح يوجّه اللوم إليّ، لأنني كنت أستمع إلى كلامه بأعصابٍ باردة، وأتلقى معلوماته بشيء يشبه عدم الاكتراث، بل لأني لم أكن معه

متحمساً كحماسته، ولا مندفعاً كاندفاعه. وهو كان يتوقع مني أن ألوم أكثر مما لام، وأن أثور أكثر مما ثار.

ندعو إلى الله.. ونجادلهم بالتي هي أحسن!

هنا رأيت من واجبي أن أُجيب، وأن أجادل وأناقش، لكي أفصح عن مكنون صدري، بما يعتلج به قلبي وضميري، ليس منذ الآن، بل منذ عشرات السنين، أي منذ بدأتُ مهمة الدرس والبحث، وباشرت صناعة الفكر والقلم...

لقد حدَّثت هذا الصديق الزميل العزيز المؤمن، بلغة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وأبنتُ له بصراحة وموضوعية: أني لا أجد في كل ما قاله عن النصرانية والنصارى، شيئاً أمجُّه أو أكرهه، بل على العكس أجد فيه، ما يحثّني ويدفعني إلى أعمالٍ مماثلة. أُبشِّر فيها للدين الإسلامي، وأدعو فيها إلى اعتناق هذا الدين، وإلى الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأحثُّ على نشر مبادئه العظيمة وقيمه الخالدة، وأُجابه الحجّة بالحجّة، والمنطق

بالمنطق، كما أُقابل الآية الإنجيلية بالآية القرآنية، وذلك من خلال التمسُّك بالأوامر الإلهية التي قال الله تعالى لنا بها: في سورة النحل ـ الآية ١٢٥ ـ قال جلّ شأنه:

﴿ أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ. وَجَادِلْهُمْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۞ ﴾.

إن ربّك يا أخي، هو الذي يعلم المهتدي من الضّال. وهو يأمرنا بالمجادلة، ولكن بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أسوأ، كما يأمرنا بأن ندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالحرب، ولا بالعنف، ولا بالدم.. حتى ولا بالسبِّ والشتم.

التبشير... صناعة أهل الأديان

ثُمَّ إنِّي أرى أن النصارى حين يقومون بتبشيرهم للدين المسيحي، فإنما يقومون بواجبهم الديني، وليس لنا أن نأخذ عليهم ـ أو على بعضهم على الأصحّ ـ إلّا أنهم جعلوا من أنفسهم وسيلة للاستعمار، ومطيةً للمستعمرين،

الذين جعلوا من هؤلاء المبشِّرين المأجورين جسراً عبروا عليه إلى استعمار معظم بلاد العالم، ومنها بعض بلاد العالم الإسلامي، فهؤلاءِ المبشِّرون المأجورون، ليسوا من النصارى الأصلاء المؤمنين، وليسوا كذلك من النصرانية الحقيقية في شيء، همُّهم كسب مادي يدفعهم إليه جهل وجشع وطمع، إلَّا أن أحداً لا يستطيع أن ينسى الذكريات الأليمة التي خلَّفها الغزو النصراني لبلاد المسلمين، والذي أجَّجه بطرس الناسك، وولتر المفلس، بما أصبح معروفاً باسم **الحروب الصليبية** التي استغلّها معظم ملوك أوروبا، رافعين شعار استرداد قبر المسيح من المسلمين في القدس، وهم في حقيقتهم، لم يكونوا راغبين إلّا بالحكم والتسلُّط والبطش والاستعمار الذي استمر لمئات السنين بعد الحروب الصليبية التي استمرت هي وحدها أكثر من مايتي سنة، فكان ذلك عن طريق استغلال بعض المبشِّرين، واستغلال العاطفة الدينية عند معظم الناس من أجل تحقيق الغايات الاستعمارية.

معظم المبشِّرين النَّصارى.. استغلّهم المستعمرون

فهؤلاء المستعمرون الحاقدون، ومن معهم من المبشِّرين الجهلاء أو السُّذَّج أو المأجورين، ليسوا من النصارى الحقيقيين، وليسوا على شيء من النصرانية السليمة، فالدِّين المسيحي دين تسامح وحُبٍّ وصلاح، وليس دين حرب وظلمٍ وعِداء.

نقول بكل أسف، إنَّ المعنى الاستعماري بأكثر وجوهه، قد ارتبط بتعاون هذا النوع مِنَ المبشِّرين النصارى مع أقطاب الاستعمار وغلاة المستعمرين، وهو أيضاً قد ارتبط عند المسلمين بمفهوم العداء المرّ للتبشير والمبشرين، تماماً كما قال صديقنا الزميل المؤمن.

قلت وأقول، بصدقٍ وصراحة: **إنَّ التبشير السليم النقي للدين المسيحي عند النصارى، هو حقّ من حقوقهم الدينية الطبيعية، كما أن التبشير السليم النقي عند المسلمين**

هو أيضاً حقّ من حقوقهم الدينية الطبيعية، ولا مانع أبداً من أن يتنافس الفريقان في الدعوة إلى الله، كلٌّ حسب معتقده ومفهومه، ومن ضمن الدعوة إلى الله على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة، لا على قاعدة العدوان بالعدوان، والشرّ بالشرّ، والبادىء أظلم...

والتبشير الإسلامي..
موجود أيضاً عند المسلمين

وتابعتُ أقول للصديق العزيز المؤمن؛ إنَّ سعينا إلى دعم التبشير الإسلامي بكل الوسائل المادية والمعنوية والروحية والاجتماعية والإنسانية، هو أجدى بكثير من أن نصرف جهودنا إلى الهجوم على التبشير المسيحي وشتم المبشّرين المسيحيّين، وهو الذي يعود بالفائدة المرجوة العظمى على الإسلام والمسلمين، مع علمنا بأننا ـ نحن المسلمين ـ لسنا مقصّرين غاية التقصير في هذا المضمار، إذ أنَّ لنا مؤسساتنا وجمعياتنا ودعاتنا (وبعض دولنا)، فالكلُّ يُواظب على هذا العمل التبشيري الجيّد، الذي

نتمناه أن يكون أبلغ وأقوى وأفعل، إلّا أن الزيادة في الخير خير، والعمل الصالح لا بدّ من أن يثمر الثمر الصالح، ولعلّنا لا نخطىء الظن، إذا قلنا إنَّ الطرف النصراني العالمي، هو يشكو أيضاً من انتشار التبشير الإسلامي واتساع مداه، وخصوصاً في العصر الحاضر، تماماً كما نشكو نحن من انتشار واتّساع التبشير النصراني. إلّا أن الفرق بالتسمية فقط، فعند المسيحيين اسمه: «تبشير ومبشّرون» وعند المسلمين اسمه «دعوة إلى الله ودعاة».

دعوة إلى التعاون والتعاطف
بين مسلمي العالم ومسيحيّيه!

أحببت من وراء إيراد هذه القِصّة، أن أؤكّد بأن هذه الحرب الطاحنة الهادئة المستترة القائمة بين المسلمين والنصارى ليست في صالح أي طرف منهما، بل هي ليست أيضاً في صالح الدين الإسلامي ولا في صالح الدين المسيحي، بل إنَّ الخير كُلَّ الخير، للإسلام

والمسلمين، وللنصارى والنصرانية، في تعاون الفريقين معاً على الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، أو في تعاطفهم مع بعضهم بعضاً ـ على الأقل ـ في هذا المضمار الإيماني الرشيد. وليس ضرورياً أن ندخل في تفاصيل المعتقدات، أو في تباين الفروع والأصول الفقهية لدى الدينين العظيمين، فمسألة نقاء المعتقد وصحته وسلامته، أمر من اختصاص الله سبحانه وتعالى: ﴿فهو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين﴾. وأما بالنسبة للفروع الفقهية في هذين الدينين الكبيرين، فإن الإختلاف فيها قائم في داخل كل دين، بل في داخل كُلِّ طائفة من طوائفه.. وأيضاً في داخل كل مذهب من مذاهبه، ولهذا فلا يجوز أن نكون مختلفين بسبب الجزئيات، بل يجب أن نكون متفقين على الكلّيات، والكليات توجز بشعار الإيمان بالله الواحد الأحد، كلٌّ على طريقته، وكلٌّ بحسب معتقده، على أن نكون ـ نحن الفريقين ـ نصارى ومسلمين ـ صفّاً واحداً ضد أعداء الله تعالى جميعاً، المنكرين لوجوده، سواء

كانوا متميّزين بصفة الإلحاد العلني، أو متستّرين بشعارات أحزاب وهيئات ومؤسسات ترفع يافطة الشيوعية أو العلمانية أو ما أشبه ذلك.

هذا ما يدعو إليه الإسلام والمسيحية

ونحن إذا كنا نقول هذا القول الآن، وإذا كنا ندعو إلى التعاون أو التعاطف على الأقلّ، بين نصارى العالم ومسلميه، فلأنّنا نؤمن ونعتقد، بأن هذه الدعوة هي من صميم مبادىء الدين الإسلامي الصحيح، وهي من صميم تعاليم الدين المسيحي القويم، وما عدا هذا فهو افتراء على كلا الدينين، لا يقرُّه الله جلَّ جلاله. ولا ترضى عنه ملائكته وكتبه ورسله صلوات الله وسلامه، عليهم أجمعين.

كلُّ فريقٍ لديه حججه.. ودوافعه!!

ولكي نكون منصفين وواقعيّين، فإننا نقرُّ ونعترف

سلفاً، بأن كُلاًّ من أصحاب العنف والخصومة والعداء في داخل كل من الدينين العظيمين: الإسلام والمسيحية، مستعدّ لأن يقدم نصوصاً دينية عديدة. تؤيد ما يذهب إليه من سلوك دروب العنف والخصومة والعداء، كما أن دعاة التعاون والتلاقي والتعاطف في داخل الدينين المذكورين سيجدون لديهم من النصوص الدينية ما يؤيد سلوكهم هذه الطريق... لكن القضية ليست هنا، بل هي في فهم روح كل دين، والتعمق في غاياته الدنيوية والأخروية السامية، بل هي في فهم تطور كل عصر، ومقتضيات كل زمن، من أجل التوفيق بين شؤون الدين والدنيا، ومنع حصول التضارب بين هذه الشؤون، ذلك لأن شؤون الدنيا لا تكون صالحة للدنيا نفسها إذا كانت متضاربة مع غايات الدين السماوية، كما أن شؤون الدين لا تكون مقبولة عقلياً وموضوعياً إلا إذا كانت متناسقة مع حاجات العصر وتطور الزمن، لاسيما وأن دول العالم قد بدأت في الوقت الحاضر باحترام وتنفيذ الشرائع الدولية وجعل هيئة الأمم المتحدة مؤسسة تخدم العدل والتقدم وحقوق الإنسان

بالنسبة للبشرية جمعاء، بدون تفريق بين العروق والأجناس والأديان، وذلك من خلال ما تعارفوا عليه من محاولة إيجاد نظام عالمي جديد يضع حدّاً لاشتعال الحروب، ويسعى لإقامة سلام عالمي دائم وشامل، لا نملك معه إلا الدعاء إلى الله تعالى لتحقيق هذه الأماني والآمال.

فلنخاطب دول العالم.. باللغة التي تفهمها

وقد يكون مفيداً أن نشير إلى أن الوصول إلى هذا الهدف النبيل لا يمكن أن يتحقق بين يوم وليلة، بل لا بدّ من التدرُّج فيه شيئاً فشيئاً. حسبنا أن نعلم بأن الزمن قد بدأ بالتطور لصالحنا نحن العرب والمسلمين، والدليل على ذلك هو أن هيئة الأمم المتحدة كانت كلها تعمل لصالح اليهود، فاغتصبت منا فلسطين، ومنحتها للصهيونية العالمية عام ١٩٤٨ وبالتدرج الزمني البطيء تغيَّر الوضع، وها هي الآن هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي قد اتخذا قراراً بالإجماع

لصالحنا نحن العرب والمسلمين هو القرار رقم ٧٩٩ لعام ١٩٩٢ يقضي بإدانة الإسرائيليين إدانة صريحة في قضية المبعدين الفلسطينيين الـ ٤١٧ وأمرتهم بإلغاء قرار طردهم وبإعادتهم إلى وطنهم وأهلهم دون أية شروط.

نلاحظ أن الزمن يتطور تدريجياً لصالحنا، وما زلنا نرى أن الدول الكبرى تستعمل للقضايا بدل المكيال مكيالين، وبدل المعيار معيارين، فهي لم تستعمل بعد سلاح إرغام الإسرائيليين على تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالقوة كما استعملته في أماكن أخرى من العالم. إلا أن الزمن كفيل أيضاً بإيصالنا إلى هذا الهدف إذا ثابرنا على مخاطبة الأسرة الدولية باللغة التي يفهمها أعضاء هذه الأسرة، لا بلغة العنف والقتل والخطف والإرهاب الذي يجعل من الأمة الإسلامية شبح خطر رهيب ضد الحضارة والإنسان.

من هنا تبدو المصلحة واضحة جداً لكلا الطرفين الإسلامي والمسيحي في ضرورة التعاون (أو التعاطف على الأقل) بين أصحاب هذين الدينين العظيمين.

لماذا نستثني اليهود من هذا التعاطف؟

وإذا كنا نستثني اليهود من روح هذا التعاون والتعاطف، مع أنهم هم أيضاً أهل كتاب وأصحاب دين سماوي ومؤمنون بإله واحد ـ فلأننا نعرف ولا ننسى بأن المسلمين والمسيحيين إنما يقفون عند نقطة التقاء واحدة ضد اليهود، فاليهود هم الذين تصدّوا للسيد المسيح عليه السلام **وهم الذين حاربوه وقتلوه وصلبوه** ـ حسب المعتقد المسيحي واليهودي ـ كما نعرف، ولا ننسى بأن الدين الإسلامي، قد حشر اليهود مع طبقة المشركين بالله **واستثنى النصارى من ذلك**، ودعا في القرآن الكريم إلى التعاطف والتوادّ بين النصارى والمسلمين، فهذه هي نقطة الإلتقاء بين الفريقين الإسلامي والمسيحي، وهي واضحة في قول الله تعالى في سورة المائدة ـ الآية ٨٢ ـ قال عزّ وجلّ:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا

ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا . . .
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ . . .
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

نحترم الدين اليهودي . . . كدين!

نعم . . نحن نستثني اليهود من التعاون والتعاطف، ولكننا لا نستثني دينهم الذي بَعَثَ الله به موسى عليه السلام، فهم أيضاً أهل كتاب وأهل دين سماوي، شوَّهوه وظلموه وظلموا أنفسهم. منذ أن اعتبروا أنفسهم فوق البشر، ومنذ أن جعلوا أنفسهم «شعب الله المختار» فأصبحوا ـ بمعتقدهم الزائف ـ طبقةً فوق جميع البشر، حتَّى لكأنهم هم الوسط بين طبقة الملائكة وبين طبقة بني الإنسان . . . !!

إنَّ هذا كلّه يقيم الدليل الناطق على عمق الضرورة حول توطيد التعاون والتعاطف بين المسلمين والنصارى، من وجهة النظر الإسلامية الشرعية أولاً، ومن مفهوم التسامح المسيحي مع جميع البشر، حسبما جاء به عيسى عليه السلام ثانياً . . فهو لم يجعل من النصارى طبقة فوق البشر، بل أمرهم بأن يدعوا الأشرار والصالحين جميعاً إلى دينه وشريعته. ونقرأ هذا واضحاً في الإنجيل (العهد الجديد) ـ الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متّى ـ وذلك حين يشَبِّه ملكوت السماوات باحتفال عرس لإبن ملك يدعو إليه جميع الناس دون استثناء، فقال في هذا الإصحاح:

«يُشبه ملكوت السماوات إنساناً ملكاً، صَنع عُرساً لابنه، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوِّين إلى العُرس، فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين، قائلاً: قولوا للمدعوّين هو ذا غَدَائي أعددته. ثيراني ومسمَّناتي قد ذُبحت. وكلّ شيء معدّ، ولكنهم تهاونوا ومضوا. واحد

إلى حقله، وآخر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم...».

هل بين اليهود صالحون محسنون؟

فأين هذا كله من قول اليهود، نحن وحدنا «شعب الله المختار» وما عدانا من البشر هم كالسوائم والبهائم، يجوز ذبحهم، كما يذبح الإنسان شاته أو دجاجته، واقرأوا إذا شئتم التلمود وتفسير الوصايا العشر، وبروتوكولات حكماء صهيون لتروا العجب العجاب الذي يفسِّر لنا عدوانهم - عبر التاريخ - على جميع بني البشر، حيث كانوا هم أيضاً وراء كل حرب، ووراء كل كارثة إقتصادية أو إجتماعية أو سياسية، وكان آخر ذلك كارثة فلسطين!!

ومع هذا فنحن نحارب أعمالهم وتصرُّفاتهم فقط، ولا نحارب دينهم كدين، فنحن نؤمن بالدين اليهودي كدينٍ سماوي، بَعَثَ الله به موسى عليه السلام، ولكنهم هم شوَّهوه وحرّفوه بحسب أهوائهم، علماً أننا لا نطلق

هذا الكلام على كل اليهود.. أو ضد كلّ اليهود، فقد يكون بينهم خلصاء مؤمنون.. لا نعرفهم نحن، وإنما يعلمهم الله - إذا كانوا موجودين - فهو عالم السموات والأرض الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، إنه هو العليم الخبير.

تعاطفنا مع النصارى منذ صدر الإسلام

ثم إن التعاون والتعاطف بين المسلمين والنصارى، قد بدأ منذ ظهور الإسلام وبدء الوحي بالنزول على رسول الله ﷺ. ففي السنة الثانية من إظهار الدعوة بدأ الذين آمنوا بمحمد ﷺ يتلقون صنوف الأذى من مشركي مكة. ولما رآى رسول الله ﷺ، ما يصيب أصحابه مِنَ البلاء، قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فخرجوا فراراً بدينهم إلى الله، وكانوا أحد عشر إنساناً بين رجلٍ وامرأة يتقدمهم عثمان بن عفّان وزوجته رُقيَّة بنت النبي ﷺ، فأقاموا حوالي شهرين ثم

عـادوا . . فكانت هـذه أوّل هجـرة بـالإسـلام وَجَـدَ فيهـا المسلمـون الأوّلون حمـايـة ورعـايـة من النجـاشي ملك الحبشـة، غيـر أن قـريشـاً إشتـدَّت على المسلمين مـرَّة أخرى، فحصلت الهجرة الثانية، وكـانت مؤلفة من اثنين وثمانين رجلاً، إلاّ أن قريشاً آلمها أن يطمئن المسلمـون الأولون في ظِلِّ النجـاشي، فأرسلت إليـه وفداً مؤلفـاً من (عمـرو بن العاص وعبـد الله بن أبي أمية)، يحمـل إليـه الهدايا ووسائل الإغراء من أقوال وحجج، إلا أن النجاشي رفض هذا كلّه، وقال لحاشيته قولته الشهيرة: «**لا والله لا أُسلم قوماً جاوروني ونزلوا في بلادي واختاروني على من سواي، حتّى أدعوهم وأسألهم عما يقـول هذان عنهم**». فـدعاهم وسـألهم عما جـاء بـه محمـد ﷺ، وسمـع من المسلمين المهـاجـرين شيئـاً من القـرآن الكـريم. فبكى النجاشي وأساقفته. وقال النجاشي: «**إنَّ هذا والذي جاء بـه عيسى يخرج من مشكـاة واحدة**» ـ إنـطلقـا ـ (لعمـرو وعبد الله) «**والله لا أُسلمهم إليكما أبداً**». . . وتابع قائـلاً للمسلمين: «**إذهبوا فأنتم آمنون**. . **ما أُحبّ أن لي جبـلاً**

من ذهب، وأنني آذيت رجلاً منكم»[1].

هـذه هي الحادثـة الأولى التي يمكن اعتبارهـا نقطة الإنـطلاق في بـدء التعـاون والتعـاطف بين المسلمين والنصارى وقد مضى عليها أربعة عشر قرناً!

المسلمون يتطلعون إلى انتصار نصارى الروم

وأما الحادثة الثانية، فقد حدثت أيضاً عند بدء ظهور الإسلام قبل الهجرة من مكة إلى المـدينة، وتتلخص في أن حرب قتال داميـة، نشبت بين فارس ونصـارى الروم، فزحف الفرس على أذرعات وبصرى وقيل على الجزيـرة وهي أدنى أرض الـروم من الفرس، فغلبـ الفـرس الروم وانتصروا عليهم انتصاراً ساحقاً. فوصل خبر هزيمة الروم إلى المسلمين في مكة المكرمة، فشقَّ عليهم ذلك، بينما

---

(١) راجع كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ج ٢ ص ٧٦ وما بعدها) ففيه كل تفاصيل الهجرتين.

فرح به كفّار مكة فرحاً عظيماً، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب. ونحن أُميّون، وأهل فارس أُميّون. وبالغت قريش في شماتتها بالمسلمين وقالت لهم: لقد ظهر إخواننا على إخوانكم. ولنظهرنّ عليكم كما ظهروا عليهم إذا جرى بيننا وبينكم قتال.

ويظهر أن الله تعالى أراد أن يطيّب خاطر المسلمين، فأنزل على رسوله الكريم مطلع سورة الروم، في القرآن الكريم، فقال جلّ شأنه في الآيات: ١ ـ ٦.:

﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ ،وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ. لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ. وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ الله. يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ الله. لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * ﴾.

ففرح المسلمون فرحاً عظيماً بنزول هذه الآيات الكريمات، التي وعد الله بها المسلمين بأن نصارى الروم

سيأخذون ثأرهم، وسينتصرون على الفرس خلال بضع سنين.

أبو بكر يراهن على انهزام الفرس

وراح المسلمون يتيهون على مشركي مكة، ويقولون لهم: إن نبينا محمداً ﷺ أخبرنا عن الله تعالى، بكذا وكذا عن عود النصر إلى نصارى الروم، واستعرت بين الفريقين المشاحنات والملاسنات، وكان بينها المشاحنة التي جرت بين أبي بكر الصدِّيق، وبين أُبَيّ بن خلف الجمحي الذي قال لأبي بكر: كذبت. فقال أبو بكر: أنت أكذب يا عدوّ الله، وانتهت المشاحنة بالمناحبة أي بالمراهنة بينهما، فتراهنا على عشر قلائص من الإبل يؤدّيها أحدهما للآخر، إذا لم تنتصر جماعته، وجعلوا الأجل ثلاث سنين [٢].

(٢) اختلف العلماء حول جواز المراهنة، وهي نوع من القمار، وقد اجازها أبو حنيفة في دار الحرب لا في دار الإسلام، بينما قال آخرون بأن المناحبة هذه حصلت قبل حصول تحريم القمار والمراهنة.

والقَلوص: أنثى الإبل الشابة ـ.

وجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ وأخبره بما كان، فقال له الرسول: ما هكذا يا أبا بكر، إنما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع. فارجع إليه فزايده في الخطر، ومادده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي صاحبه، فقال له: لعلك ندمت على المناحبة (أي المراهنة) فقال أبيّ: لا، فتعال أزايدك في الخطر، وأماددك في الأجل، فاتفقا على مئة من القلوص إلى تسع سنين. فقال قد فعلت. وقدّم كل منهما كفيلاً عن نفسه، فكان كفيل أبي بكر إبنه عبد الله، وكان لأبيّ أيضاً كفيله من ورثته.

وتحققت إرادة الله، وثبتت معجزة القرآن الكريم، وظهرت الروم على فارس في يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من المناحبة، وأخذ أبو بكر الرهان من ورثة أُبيّ بن خلف. وتصدَّق به على الفقراء، بأمر رسول الله ﷺ.[٣]

(٣) راجع تفاسير القرآن الكريم لمعرفة تفاصيل هذه الحادثة،

إن هذه الواقعة تدل أيضاً على وجود معنى التعاطف القوي بين المسلمين والنصارى منذ بدء عهد الإسلام.

وليس هذا فحسب، بل إننا إذا عدنا إلى النص القرآني الذي أشارت إليه الآية التي أوردناها آنفاً من مطلع سورة الروم. وإذا أمعنّا النظر بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾ فإننا سنلاحظ بوضوح أن القرآن الكريم قد اعتبر انتصار نصارى الروم على الفرس، نصراً من الله عز وجل، يفرح به المؤمنون، وهذا شيء عظيم قلّ ما يتنبه إليه العامة من الناس.

هكذا طبّق الرسول آية «لا إكراه في الدين»

وأما الواقعة الثالثة، فتدلُّ على مدى احترام الدين الإسلامي لأديان أهل الكتاب. ونقرأ في تفاسير القرآن الكريم قصصاً كثيرة تدل على مدى إحترام الإسلام لدين

وخصوصاً تفاسير البيضاوي والخازن والنسفي وابن عباس.

النصارى، وعدم اللجوء إلى إكراههم على الدخول في دين الإسلام، وذلك بالنسبة للنصارى واليهود لأنهم أهل كتاب سماوي، وأما الكفرة والملحدون والمشركون المعتدون فلم يكن التعامل معهم، إلا بالحرب أو الدخول في الإسلام.

نقرأ في القرآن الكريم (سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦) الآية الآتية:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا. وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *﴾.

فما هو سبب نزول هذه الآية الكريمة؟!

هناك أسباب عديدة، منها ما ذكره الإمام الخازن في تفسيره فقال:

سبب نزول هذه الآية فيما يروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«كان لرجل من الأنصار، من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين إبنان متنصِّران قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت. فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تُسلما، فاختصموا إلى النبي ﷺ. وقال: أبو الحصين (الوالد): يا رسول الله، أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟.. فأنزل الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ فخلّى سبيلهما...».

«الجزية» للحماية وبدل الخدمة العسكرية

لاحظوا كيف أن الإسلام كرّم أهل الكتاب كافّة، واحترم أديانهم السماوية، ولم يحملهم جبراً على تركها ليعيشوا بأمانٍ واطمئنان، وليس عليهم إلا أن يدفعوا الجزية، وهي التي تسمّىٰ في عصرنا الحاضر بـ (بدل الخدمة العسكرية) لأن أهل الكتاب كانوا معفيّين من الخدمة في الجيش. على أن تتولى الدولة الإسلامية حمايتهم ورعايتهم والسهر على جميع شؤونهم، بالشكل الذي تسهر به على عامة المسلمين.

المسلمون يردّون الجزية

عند العجز عن الحماية

ونورد هنا ما أورده الدكتور مصطفى السباعي في إحدى رسائله عن هذا الموضوع (وهي بعنوان: ـ الكلام عن الجزية ـ في رسالة ـ نظام السلم والحرب في الإسلام ـ ص ٣٤ ـ طبع المكتب الإسلامي في بيروت ـ المجموعة الثانية من رسائل «هذا هو الإسلام) قال:

كانت الجزية عند الأمم ـ سواء منها قبل الإسلام أو بعده ـ تُفرض على المغلوبين للإذلال والامتهان. فهي بذلك تحمل معنى بغيضاً من معاني الثأر والانتقام، ولكنّ الإسلام فرضها لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم، وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين الفاتحين سواء بسواء. ويدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد، كانت تنصُّ على هذه الحماية في العقائد والأنفس والأموال، وقد جاء في عهد خالد بن

الوليد لصاحب قس الناطف: «إني عاهدتكم على الجزية والمنعة... فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلاّ فلا، حتى نمنعكم» ـ أي نحميكم من أعدائكم ـ.

والواقع التاريخي لهذه المعاهدات، يثبت بجلاء لا يحتمل الشك أن المسلمين لم يأخذوا الجزية إلا على هذا المبدأ، وكلُّنا نعلم كيف ردّ خالد بن الوليد على أهل حمص. وأبو عبيدة على أهل دمشق، وبقية القواد المسلمين على أهل المدن الشامية المفتوحة، ما أخذوه منهم من الجزية، حين اضطر المسلمون إلى مغادرتها قبيل معركة اليرموك. وكان مما قاله القواد المسلمون لأهل تلك المدن: «إنا كنا قد أخذنا منكم الجزية على المنعة والحماية. ونحن الآن عاجزون عن حمايتكم. فهذه أموالكم نردّها إليكم».

***

دفع شبهتين: «اليد» و«الصّغار»!

ويتابع الدكتور مصطفى السباعي فيقول في الصفحة ٤١ وما بعدها ما يلي:

«بقي أن نعرض لما قد يرد في خواطر بعضكم على ما قررناه من أن الجزية لا تحمل معنى الامتهان والإذلال.

فيقول قائل: إذا كان الأمر كذلك فما معنى «الصغار» الوارد في آية الجزية: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ، وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾؟.. ولماذا كانت الجزية تؤخذ في بعض العصور الإسلامية بوضع مهين كالصفع وغيره؟!

والجواب عن الآية، أن من الواجب تفسيرها بما يتفق مع مبادىء الإسلام العامة، ومع فعل النبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين في أخذ الجزية من أهل الكتاب. وقد رأيتم أن الإسلام يقرّر حرمة عقائد أهل الكتاب وأموالهم ومعابدهم... كما يقرر تحريم إيذائهم حتّى بالقول، فيحرم اغتيابهم كما تحرم غِيبة المسلم. وإذا رجعنا إلى

التاريخ لم نجد في معاملة النبي ﷺ، لأهل الكتاب ولا في معاملة الخلفاء الراشدين لهم، أي معنى من معاني الاحتقار والإذلال، ولم تكن تؤخذ منهم الجزية على أي وضع يشعر بالإساءة أو المهانة، فإذا كان الإسلام يحرّم إيذاءهم حتى في حال غيبتهم، وإذا كان الرسول وهو صاحب الشريعة، والخلفاء الراشدون، وهم أقرب صحابة النبيّ إليه، وأكثرهم تمسكاً بشريعته، لم يؤثر عنهم أية حادثة من حوادث الإهانة في أخذ الجزية، كان من الواجب أن تُفهم الآية على غير ما فهمها بعض الناس. وذلك أن نفسر «اليد» في قوله: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بالقُدرة. وفي نصوص القرآن واللغة ما يؤكد هذا المعنى. وقد رأيتم في عهد خالد بن الوليد لصاحب قسّ الناطف قوله: «على كل ذي يدٍ» أي قدرة.. وهذا هو ما قررناه من أن الجزية لا تُفرض إلا على القادرين على دفعها، لذلك أُعفي منها الصغار والعاجزون والرهبان والفقراء والنساء.

«وأما قولهم: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فيتحتّم تفسير

«الصَّغار» هنا بالخضوع ـ والموالاة لسلطان الدولة، كما يخضع لها ويواليها جميع المسلمين ـ لا بالذِّلة والمهانة. ومن معاني الصَّغار في اللغة الخضوع، ومنه أُطلق «الصغير» على الطفل، لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه، والمراد بالخضوع حينئذٍ الخضوع لسلطان الدولة بحيث يكون في دفع الجزية، معنى الالتزام من قبل أهل الذمة بالولاء للدولة، **كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم**. وليس في الخضوع لقوانين الدولة وسلطانها أي غضاضةٍ على المواطنين، مهما اختلفت عقائدهم. هذا هو التفسير الصحيح الذي ينسجم مع نصوص القرآن ومبادىء الشريعة، وواقع التاريخ في عصور الإسلام الذهبية الأولى»اهـ.

* * *

إن هذا أيضاً نوع من التعاطف بين المسلمين والنصارى، وأهل الكتاب كافة، بل هو امتياز يتمتعون به بنص الشريعة الإسلامية.

الرسول يتعاطف مع النصارى الأقباط

ثم هناك نوع آخر من التعاطف بين المسلمين والنصارى منذ بدء عهد الإسلام، فحين بعث الرسول الأعظم ﷺ برسله ورسائله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، ظهر التعاطف جلياً، مع المقوقس عظيم القبط ملك مصر، ومع هرقل ملك نصارى الروم، وكان ذلك سنة ثمان من الهجرة.

فأمَّا المقوقس[٤] فإنه قَبِل كتاب النبي ﷺ، وأهدى إليه أربع جَوَارٍ، منهن مارية القبطية، فولدت له ولده إبراهيم.

ولا مانع من أن نتوسع قليلاً في خبر هذه المراسلة

---

(٤) المقوقس. هو اسم كل من ملك مصر. وأما اسمه الحقيقي فهو جريج بن ميناء.

النبوية مع ملك مصر القبطي النصراني، لنرى مدى التعاطف الذي قام بينهما، دون أن يدخل المقوقس في دين الإسلام، بل ظل على نصرانيته.

فقد روت كتب التاريخ الإسلامي[٥] أن النبي ﷺ، بعث الصحابي حاطب بن أبي بلتعة برسالته إلى المقوقس، وقد جاء فيها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله ورسوله إلى المقوقس، عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلمْ تسلم، يُؤْتِكَ الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فعليك إثم القبط. يا أهل الكتاب. تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله، ولا نُشْرِكَ به شيئاً، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً

(٥) راجع كتاب «محمد رسول الله ﷺ» ـ تأليف محمد رضا ـ (طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر عام ١٩٣٤) ص٣٣٨ وما بعدها.

من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون[٦]».

فذهب حاطب بالكتاب إلى مصر، فلم يجد المقوقس، فذهب إلى الإسكندرية فوجده، فأعطاه كتاب رسول الله ﷺ، فضمّه إلى صدره، ووضعه في حُقّ عاج، ودعا كاتباً له يكتب بالعربية، وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط. سلام عليك. أمّا بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي. وكنتُ أظنُّ أنه يخرج في الشام.. وذكر له ما كان من إكرامه لحاطب، وقيل إنه دفع له مئة دينار، وخمسة أثواب. ودعا رجلاً عاقلاً. فلم يجد بمصر أحسن ولا أجمل من مارية (مريم) وأختها سيرين. فبعث بهما

(٦) يقال إن هذا الكتاب محفوظ بدار الآثار في الاستانة: وقد عثر عليه عالم فرنسي في دير بمصر قرب اخميم في زمن سعيد باشا.

إلى رسول الله ﷺ وأهدى له بغلة، وعسلاً من عسل (بنها). وقيل: بعث له غير ذلك عشرين ثوباً من قباطي مصر، وطيباً وعوداً ومسكاً. ولكنه لم يُسلم. وقد قبل رسول الله هذه الهدايا، فأخذ مارية لنفسه، وأهدى سيرين لحسَّان بن ثابت. وأما البغلة فتسمى «الدلدل» وكانت شهباء، ولم يكن في العرب يومئذ بغلة غيرها، ودعا لعسل (بنها) بالبركة[٧].

فهل هناك أسمى وأرفع من هذا التعاطف الذي جرى بين رسول الله ﷺ وعظيم نصارى القبط، مع بقاء كل منهما على دينه، إذ ﴿لا إكراه في الدين، قد تبيّن الرشد من الْغيّ...﴾.

* * *

(٧) عدّد المرحوم حفني ناصف بك أصناف الهدايا التي بعث بها المقوقس إلى رسول الله ﷺ، راجع مجلة «الهلال» المصرية، السنة ٤١. الجزء الأول. ص ٧٨.

والرسول يتعاطف مع هرقل عظيم الروم

وأما كتاب النبي ﷺ لقيصر ملك الرُوم، واسمه هرقل، فقد جاء فيه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى. أسلم تسلمْ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، **وإن تولّيت فإن إثم الأكّارين عليك**[٨].

وتقول كتب التاريخ[٩] إنَّ النبيَّ بعث دحية الكلبي بكتابه إلى هرقل، وإن هرقل قبّل كتاب رسول الله ﷺ. وجعله بين فخذيه وخاصرته، وكتب إلى رجل برومية.

(٨) إثم الأكّارين، أي إثم الفلّاحين والزراع، والمراد: إثم رعاياك الذين يتبعونك،

(٩) راجع كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ج ٢ ص ٢١٠ وما بعدها) وكتاب «محمد ﷺ» لمحمد رضا (ص ٣٣٠ وما بعدها).

كان يقرأ الكتب يخبره شأنه، فكتب إليه صاحب رومية إنه النبي الذي كنا ننتظره. لا شك فيه، فاتَّبِعْهُ وصدِّقه. فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة، وغُلّقت أبوابها. ثم اطّلَع عليهم من عِلّية، وخافهم على نفسه، وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله النبيّ الذي نجده في كتابنا، فهلمّوا فلنتبعه ونصدّقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا... فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا، فقال: ردّوهم عليّ، وخافهم على نفسه، وقال لهم، إنما قلتُ لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم. وقد رأيت منكم ما سرّني، فسجدوا له، وانطلق... وقال (هرقل) لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لأتّبعته.

***

كتاب النبيّ ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس

وأما كتاب النبي ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس فقد جاء فيه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس
سلامٌ على مَنِ اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمداً عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاء الله. فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافة. لأُنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين. فأسلم تسلم، **وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.**

ويقول محمد حميد الله في كتابه «الوثائق السياسية» ـ ص ١١١ ـ إن كسرى دعا بالجلمين «وهو كالمقص» فقطعه. وقال في ـ ص ١١٢ ـ ومزّق الكتاب.

«وروى الإمـام أحمـد بن حنبـل في مسنـده (ج ١ ص ٣٠٥) عن ابن عبـاس أن النبيّ ﷺ بعث بكتابـه إلى كسرى مع رجـل. وأمره أن يـدفعه إلى عـظيم البحرين. فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه، خرقه. قال فحسب إبن المسيب. قال فدعا عليهم (على الفرس) أن يمزقوا كلّ ممزق» أ هـ

وفي رواية إن النبي ﷺ قال: إذا ذهب كسـرى، فلا كسرى بعده. ولقد صدق رسول الله فلم يكن بعد كسرى كسرى آخر.

نصارى نجران يصلُّون في مسجد الرسول

وهناك واقعة وفـد نصارى نجـران الذين قـدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا عليه مسجـده، فحانت صـلاتهم، فقـاموا يصلّون في مسجـده، فأراد النـاس منعهم. فقـال رسـول الله ﷺ: دعـوهم. فـاستقبلوا المشـرق فصلّوا

صلاتهم[١٠].

لاحظوا أن النصارى يصلُّون صـلاتهم النصرانيـة في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة برعـاية الـرسول الأعـظم، وبالتـوجـه نحـو قبلتهم في بيت المقـدس، لا بالتوجُّه إلى قبلة المسلمين، وكعبتهم المشرّفة في بيت الله الحرام!!

فهـل هنـاك من تعـاون وتعـاطف، أقـوى من هـذا التعـاطف والتعـاون، وهـل هنـاك تيسيـر أبلغ من هـذا التيسير، فما بال المعسّرين يتعاسرون على أنفسهم وعلى غيرهم، وما بـال المسلمين والنصارى يتصيّـدون بعضهم بعضاً، بالقتل حيناً، وبأنواع الأذى حيناً آخر، لا في بلاد مصر وحدهـا في الوقت الحـاضر، بـل وفي بلاد عـديدة أخـرى، مع أن الأولى والأوجب، أن يتعـاون ويتعـاطف

(١٠) عن كتـاب «مختصر سيـرة الرسـول ﷺ» للشيخ عبـد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ص ٤٢٢ وما بعدها ـ .

الفريق الإسلامي مع الفريق المسيحي، ضد الكفرة الملحدين المعتدين، أعداء الله، وأعداء ملائكته وكتبه ورسله أجمعين.

وهنا أرى من الأمانة التاريخية أن أروي لكم قصة شخصية تتعلق بهذا الموضوع، وهي تتلخص بما يلي:

لاجىء سياسي مسلم
في البطريركيّة المارونية

أنا ـ كما يعلم أكثر السادة الحاضرين ـ سوري الأصل من مدينة دمشق. وقد جئت إلى بيروت ـ كلاجىء سياسي ـ على أثر الثورة البعثية في سورية عام ١٩٦٣. وما زلت مقيماً فيها مع عائلتي حتى الآن ـ أي منذ ثلاثين سنة على الضبط ـ. وفي عام ١٩٦٨ ـ أي قبل ربع قرن تماماً ـ حصل ضغط سوريّ مصريّ على السلطة اللبنانية، بقصد طردي من لبنان. وتبلّغت أمر الطرد، وأُعطيت مهلة بضعة أيام، وبدأت الإستعداد للسفر والمغادرة، وقبيل سفري بساعات فوجئت بزميل صديق عزيز يزورني،

ويقول لي: «إن البطريرك المعوشي، قد علم بنبأ طردك من لبنان، وهو يطلبك ويدعوك ـ الآن ـ لزيارته في بكركي» وأخذني بسيارته، وهناك استقبلني غبطة البطريرك استقبالاً حارّاً، وكانت تربطني به صلة صداقة شخصية، ثم قال لي: ما هذا الذي سمعته؟! أصحيح أنهم قرروا طردك من لبنان؟ قلت: نعم!! قال لي: وكيف يطرد صديق لبنان، بشير العوف من لبنان، وأنا هنا بطرك الموارنة ما زلت موجوداً في لبنان؟! وتابع قائلاً:

عشرة أيام في دير بكركي

أنت ضيفي هنا في بكركي، فلا طرد، ولا سفر، ولا مغادرة... وأنا سأتدبّر الأمر مع السلطة اللبنانية. وأخذني من يدي، وخصّص لي جناحاً في دير بكركي، تتوفر فيه كل شروط الراحة التامة، وتدبّر غبطته الأمر مع السلطة اللبنانية، وبعد عشرة أيام قام بزيارة البطرك أحد كبار رجال الأمن اللبناني، وأبلغ البطرك أن قضية بشير العوف قد انتهت بالصورة المرضية، وأن بإمكانه أن يعود آمناً مطمئناً

إلى منزله، وأن يتحرك في لبنان حيث يشاء، ونحن مسؤولون عن أمنه وحمايته.

بشير العوف = مسعود المسعود

وكان غبطة البطرك قد أطلق عليّ إسم (مسعود المسعود) للتمويه عن وجودي في البطركية أمام الغادين والرائحين، مبالغةً منه في الحرص على حمايتي وعدم خطفي! وبعد تبلُّغي نبأ الأمن اللبناني، غادرت بكركي عائداً إلى منزلي في عين الرمانة ببيروت، بعد أن قدمت لغبطة البطرك وللسادة المطارنة والرهبان، وفي مقدمتهم النائب البطريركي الأول المطران نصر الله بطرس صفير، الذي أصبح غبطته ـ الآن ـ (بطرك الموارنة في لبنان والعالم) قدَّمت لهم جميل شكري وبالغ امتناني على ما أحاطوني به جميعاً من حسن الضيافة وجميل الرعاية والتكريم.

صلاة مسلم.. داخل دير بكركي

وليست هذه هي وحدها المسألة... فهناك ما هو أجمل وأكمل، فقد صدف في أول يوم وصولي للبطريركية، وبعد أن تسلّمت جناحي الخاص، كان قد حان وقت صلاة العصر، فتوضأت، ومددت ردائي على الأرض وهو «روب دوشامبر» وقبل بدء الصلاة، فوجئت بالباب ينفتح، ويدخل عليّ غبطة البطرك، فلما رآني على أهبة الصلاة على الأرض.. قال لي: إنتظر.. إنتظر.. وصاح بالراهبات لكي يحضرن لي «سجادة صلاة» فقلت له: لا يا سيدي، فهذا ليس ضرورياً، والصلاة جائزة على الأرض ولو بدون أي حاجز... فأصرّ.. وجاءت السجادة على الفور، وكنت أتابع عليها صلواتي الخمس في جناحي داخل دير النصارى: دير بكركي العظيم.

وكان من عادة البطرك، أن يزورني بعد عصر كل يوم لكي يطمئن على راحتي وإقامتي في جناحي الخاص،

وكنت أسهر معه بعد انتهاء مواعيد زوّاره وزيارته، فنتحادث ونتسامر، وإني أشهد أمام الله أنني وجدت عنده علماً عن «الإسلام» أكثر بكثير مما يدّعيه لأنفسهم بعض علماء المسلمين!!

السلطة اللبنانية ترعاني وتحميني

وبعد مدة طويلة، حدَّثني أحد كبار مفتشي الأمن العام اللبناني وقال لي: إنه كان مكلفاً بحمايتي، ومتابعة تحركاتي، يتبعني بسيارته حيث أذهب بسيارتي، وظلَّ على هذا الحال مدة أربعة أشهر، يأتي إلى أمام بنايتنا في الصباح ويغادر المكان في المساء، وهكذا حتى تحقق لي حال الأمن والأمان في لبنان بلد الأمن والأمان وموطن حرية الإنسان.

عودة حريتنا.. بعد الحركة التصحيحية

لهذا أحببت بيروت، وأحببت لبنان، واتّخذته موطناً

دائماً لي ولأسرتي، بالرغم من أنَّ الرئيس الجليل الفريق حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، سبق له أن ألغى الأوامر التي كانت تحول دون زيارتي لدمشق بعد غيابي عنها مدة أربعة عشر عاماً... كما أنَّ وزير الإعلام السوري المرحوم أحمد اسكندر، وجّه لي ولزوجتي دعوة لزيارة سورية، كما وجّه مثل هذه الدعوة للزميل الصديق الأستاذ محمد البعلبكي نقيب الصحافة اللبنانية ولزوجته الفاضلة، فأجبنا الدعوة كضيوف على الحكومة السورية، وأقمنا في سورية قرابة أسبوعين، نفَّذنا فيهما برنامجاً، زرنا فيه معظم المحافظات السورية، واطّلعنا خلاله على الشيء الكثير من منجزات الحركة التصحيحية التي قادها في سورية سيادة الرئيس الجليل الفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

أقول: بالرغم من هذا، فإنني لم أستطع أن أغادر لبنان الذي أحببته وأحبَّني فاتَّخذته موطناً دائماً لي ولأسرتي، إلا أنني لم أنقطع عن زيارة وطني الأول

(سورية) وحبيبتي الأولى (دمشق). فأنا أقضي أربعة أشهر الصيف من كل عام متنقلاً بين ربوعها ومصائفها الجميلة. ولا شك في أن بين أهم أسباب تعلقي بلبنان واللبنانيين.. هو ما لقيته من شخص غبطة بطرك الموارنة المثلث الرحمات الكاردينال مار بولس المعوشي ومن غبطة النائب البطريركي الأول المطران نصر الله صفير - آنئذٍ - ومن سائر المطارنة والقسس والرهبان والراهبات، مما ستظل ذكراه عالقة في ذهني كأحلى وأجمل ذكريات حياتي.

الرئيس (يموت) ووفد علماء المسلمين يصلُّون في دير بكركي

وبهذه المناسبة، مناسبة صلاة وفد نصارى نجران، في مسجد الرسول الأعظم في المدينة المنورة، لا بد من ذكر قصة ثانية تتعلق بهذا الموضوع، فقد حدَّثني سماحة الأستاذ الرئيس الشيخ شفيق يموت بأنه كان يوماً مع وفد

من علماء المسلمين بزيارة غبطة البطريرك في دير بكركي، ثم حان وقت الصلاة.. فقال الأستاذ (يموت) للبطرك: إن لنا عندكم ديناً عمره أربعة عشر قرناً، فقد سبق لوفد نصارى نجران أن صلّوا في مسجد نبينا محمد ﷺ. ونحن الآن قد حان وقت صلاتنا.. ونريد أن نصلي الآن في دير بكركي، فقال البطرك فوراً، على الرحب والسعة... هيا فأدُّوا صلاتكم...

قال لي الأستاذ يموت، فرفعنا الأذان جهراً، وصلَّينا جماعة في داخل دير بكركي، وبحضور البطرك وسائر المطارنة والقسس والرهبان.

وهكذا نرى أن التاريخ يعيد نفسه، ولكم يسعدني أن أقول الآن: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله... إن ما زرعته لنا قبل ألفٍ وأربعمائة سنة، ما زلنا - نحن العرب والمسلمين - نحصد ثماره حتى الآن.

وحين توفي البطريرك المعوشي رثيته بمقالات في الصحف اللبنانية، قلت فيها: في دير بكركي الماروني،

وبرعاية سيّده العظيم وجدت ملاذاً يحميني. وبيتاً يؤويني. ومسجداً أؤدي فيه واجبات ديني.

الحروب الصليبية.. ليست دينية!

وحتى بالنسبة للحروب الصليبية التي وسمت بسمات التعصُّب الديني المرير بشكل لم توصف بمثله أية حروب أخرى، فإن الكثيرين من المؤرخين المسلمين والمسيحيين، قد أثبتوا بأن تلك الحروب لم تكن أبداً حروباً دينية، وإنما كانت حروباً سياسية إستعمارية إقتصادية. تُوقِد نارها المطامع والأهواء والمصالح الذاتية. وعوامل التوسع والتسلط، وهي لم توصف بأنها حروب دينية إلا لاستغلال ما في الدافع الديني من إثارة عاطفية، لكسب تأييد جماهير الشعب. وأكبر دليل على ذلك هو أن بعض أمراء المسلمين قد حالفوا الصليبيين وقاتلوا إلى جانبهم وتحت رايتهم، بل هناك جنود مرتزقة من مسلمي الأتراك كانوا يخدمون في جيوش الصليبيين. وبالمقابل

كان هناك مرتزقة من نصارى الأرمن الرماة، يشتركون مع المسلمين في محاربة الصليبيين، بل إن ميمنة جيش صلاح الدين الأيوبي في أحد معاركه الكبرى، كانت برئاسة المسيحي العربي عيسى بن العواد. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي حملت كونراد الألماني قائد الحملة الصليبية الثامنة، على أن يقول: إن فشل الحروب الصليبية يعود إلى خيانة نصارى الشرق. وهكذا نرى أن المسلمين والمسيحيين لم ينظروا إلى الحروب الصليبية على أنها حروب دينية وإنما كانت حروباً إستعمارية بحتة[١١].

إغتيال الأقباط في مصر ليس من الإسلام

لا ليس من الإسلام في شيء إغتيال النصارى في

(١١) راجع كتاب «خطط الشام»، لمحمد كرد علي. وكتاب «صلاح الدين الأيوبي»، لقدري قلعجي.

مصر وفي غير مصر، أو إيذاؤهم بأنفسهم وأموالهم وأهلهم وذويهم، وليس من النصرانية في شيء أن يمارس النصارى العمل ذاته ضدّ المسلمين، فكلا الفريقين يؤمن بإله واحد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[١٢] عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر. وهي أرض يسمّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذِمّة ورحماً» أو قال: «ذمّة وصهراً».

فهل من المعاملة الحسنة أن نغتال قبطياً أو قبطية؟ وهل هكذا يكون احترام الذِّمّة، ورعاية الصهر والرحم؟!

النبي يرفض مجرّد الدعاء على أعدائه

بأبي وأُمي أنت يا رسول الله... إنك رفضت الدعاء، مجرّد الدعاء على الكفّار المشركين الذين قال الله

(١٢) رواه الإمام احمد بن حنبل في مسنده (ج ٥ ص ١٧٤).

فيهم: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[١٣]. الله جلّ جلاله ألزم نفسه بعدم الغفران للمشركين، وأنت لا توافق على أن تلعنهم أو تدعو عليهم!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل يا رسول الله، أدعُ على المشركين، قال ـ النبي ـ: «إني لم أُبعث لعّاناً، وإنما بُعثت رحمة»[١٤].

كيف يجيزون قتل الذِّمي أو المستأمن؟

فإذا كان هذا هو الحال، حتى مع الكفّار المشركين، فكيف يجب أن يكون الحال مع أهل الكتاب، وخاصّة مع النصارى الذين يشاركوننا في الجوار، ويشاركوننا في الوطنية، ويشاركوننا في عبادة الله تعالى الواحد الأحد.

(١٣) سورة النساء، الآيتان ٤٨ و١١٦.

(١٤) رواه مسلم، راجع «مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري» رقم الحديث ١٨٢٢.

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى ذمّياً فأنا خصمُه. ومن كنت خصمَهُ خصمته يوم القيامة[١٥]».

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، روى بعضها الإمام أبو يوسف في كتاب «الخراج»، ونورد هنا نص الحديث الصحيح الذي أخرجه الألباني في صحيح سنن أبي داود تعليق زهير الشاويش. طبع المكتب الإسلامي في بيروت (ج ٢ ص ٥٩٠ ـ رقم الحديث ٢٦٢٦ ـ) قال:

عن صفوان بن سليم.. عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ: عن آبائهم ذميةً ـ أي متصلي النسب ـ عن رسول الله ﷺ قال:

« ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس. فأنا حجيجه يوم القيامة».

(١٥) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» رقم الحديث ٥٣٢٠.

ويقول الإمام أبو حنيفة: إن على المسلمين القيام بدفع الظلم عن أهل الذمة، كما عليهم ذلك في حق المسلمين.. [١٦]

وكذلك هو الحال بالنسبة للمستأمن الذي يدخل بلادنا بإذن وسماح وموافقة ليكون سائحاً أو تاجراً أو عاملاً، فهو كالذميّ تماماً يجب علينا أن نحميه في روحه وماله وأهله وولده. وإننا لا ندري كيف يبيح أولئك المتشددون المعسِّرون لأنفسهم أن يغتالوا السائح أو السائحة، والتاجر أو التاجرة، والعامل أو العاملة لمجرد كونهم غير مسلمين، كما يجري الآن في مصر وفي غير مصر من البلاد الإسلامية. ألا إنّ هذا هو الظلم بعينه. وإن الله تعالى قال في سورة إبراهيم ـ آية ٢٢ ـ:

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١٦) راجع باب صلح الملوك والموادعة في كتاب «المبسوط للإمام السرخسي» ـ ج ١٠ ص ٨٥ ـ.

مواطنونا المسيحيون في أمانة الله . .

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمشركين أو للأعداء المستأمنين، فكيف يجب أن يكون بالنسبة لمن يشاركوننا في المواطنية والجوار ودوام التعامل معنا في السَّراء والضَّراء من أهل الكتاب المؤمنين بالله كما نؤمن. الموالين لوطننا كما نوالي، والعائشين معنا في ظِلّ دولة واحدة، وعلى أرض واحدة، وتحت علم واحد؟!

هل يجوز لهؤلاء أن يغدروا ببعضهم بعضاً، أو أن يقاتلوا بعضهم بعضاً بحجة إنتماء هذا للإسلام، وإنتماء ذاك للنصرانية؟!

الموادعة والتعاهد حتى مع المشركين

نحن مدعوُّون ـ كمسلمين ـ للوفاء بالعهود والمواثيق، حتى مع الكفرة المشركين، فهؤلاء إذا عاهدناهم أو واثقناهم، فإننا نكون ملزمين بصيانة هذا

العهد وذاك الميثاق، حتى ولو كلّفنا ذلك خوض الحروب وبذل الدماء والأنفس والأموال.

رسول الله ﷺ، عاهد الأسلميّين بشخص زعيمهم «هلال بن عويمر الأسلمي» على أن لا يعين المشركين على المسلمين ـ أي لا يشارك في قتالهم ـ وعلى أن لا يعين النبيّ على خصومه فيبقى على الحياد. يضاف إلى ذلك أن العهد قد نصّ على أن من يلجأ إلى الأسلميين من الكفار فإن النبيّ ﷺ لا يتعرض له، لأنه أصبح مشمولاً بالعهد القائم بين النبيّ وهلال بن عويمر.

ويتحدَّث القرآن الكريم عن المنافقين والكافرين في الآية ٨٩ من سورة النساء فيقول جلّ شأنه:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا، فَتَكُونُونَ سَوَاءً، فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ، حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ﴾.

ونرى أن الله سبحانه وتعالى قد استثنى من هذا الأمر

الشديد أولئك الذين قد قام بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، فيقول جلّ جلاله في الآية ٩٠ من السورة نفسها:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾

إلى أن يقول في تتمة الآية:

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ، فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً *﴾

المحافظة على العهد مع المشركين

وحتى في سورة (براءة) أي (سورة التوبة) التي أنذر الله بها المشركين بأن يسيحوا في الأرض مدة أربعة أشهر، وأنهم غير معجزي الله، نراه جلّ جلاله قد استثنى أصحاب العهد والميثاق، فقال عزّ من قائل في الآية ٤ من سورة التوبة نفسها: قال:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً، فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *﴾.

إن قضية المواثيق والعهود في الإسلام، قضية عظيمة جداً، وهي تشمل كل الناس، مؤمنين وكافرين، مشركين وموحِّدين، حلفاء وأعداء. خصوم وأصدقاء، فالميثاق والعهد واجب التنفيذ في كل الظروف والأحوال. ولا مانع من أن نورد بعض مقاطع الآيات الكريمة التي تحضّ على احترام العهود...

قال تعالى في سورة الأحزاب، الآية ١٥:

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً﴾

وقال في سورة الأنعام، الآية ١٥٢:

﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا. ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

وقال في سورة النحل، الآية ٩١:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾

وقال في سورة النحل أيضاً، الآية ٩٥:

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾

وقال في سورة الإسراء، الآية ١٧:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ. إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾

والآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية عن وجوب الوفاء بالمواثيق والعهود أكثر من أن تعدّ أو تحصى..

بل إنَّ هناك ما هو أدهش وأروع.. فأنت لست ملزماً بمناصرة المسلمين أنفسهم، **ضدّ قوم بينك وبينهم ميثاق** وهم من غير المسلمين. بمعنى أن احترام العهود والمواثيق هو أقوى من رابطة الدِّين، ونرى هذا المعنى واضحاً وصريحاً في الآية ٧٢ من سورة الأنفال: قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ. وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا. أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ. وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا. مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا. وَإِنِ ٱسْتَنْصَرُوكُمْ فِي

ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ. إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ. وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

ليس على المسلمين بصريح القرآن الكريم: أن ينصروا مسلمين آخرين.. ضد قوم من غير المسلمين. بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج ٣ ص ٤٤٥) قال:

عن عامر بن ربيعة، عن النبيّ ﷺ قال:

«من نكث العهد. ومات ناكثاً للعهد. جاء يوم القيامة لا حجّة له».

الوفاء بالعهد حتى في حالة الحرب

ويروي الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج ٥ ص ٣٩٤) حكاية بعض الصحابة الذين اعتقلهم كفار قريش، ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد أن أخذوا منهم عهد الله وميثاقه بأن لا يقاتلوا قريشاً حين يقاتلها محمدﷺ،

وكان المسلمون على أبواب معركة بدر بين المسلمين والمشركين، فلما وصل الصحابة الذين كانوا معتقلين عند قريش إلى المدينة، أخبروا النبي ﷺ بما جرى بينهم وبين كفار قريش، فقال لهم الرسول الأعظم ﷺ قولته السامية الخالدة، قال:

«إنصرفا.. نفي بعهدهم، ونستعين الله عليهم»

أي: إنصرفا عن القتال، وفاءً لعهد الله وميثاقه، مع أنَّ النبي ﷺ كان يومئذٍ - أي عند معركة بدر - بأشدّ الحاجة للمقاتل الواحد ينضمّ إليه سواء كان رجلاً أو صبياً أو امرأة...

القواعد القرآنية الرفيعة للقتال أو البرّ..

ثم إن هناك أمراً مهماً جداً، نحرص على أن نوضحه، تبياناً للمنهج القرآني الرفيع في معاملة غير المسلمين، فالإسلام قد فرّق تفريقاً صريحاً بين **أهل الحياد الصادق، وأهل الحياد الكاذب**، بالإضافة إلى أنه

وضع قاعدة قرآنية صريحة لتقرير حالة القتال مع الأعداء أو حالة البرّ والمودَّة.

ففي حالة أهل الحياد الصادق نلاحظ في سورة النساء أن الله تعالى حدّد ذلك بوضوح، فهو بعد أن تحدَّث عن المنافقين، وعن عدم اتخاذ الكافرين أولياء من دون الله، وبعد أن أمر بقتلهم «حيث وجدتموهم» قال في الآية ٩٠ من سورة النساء:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبينهم مِيثَاقٌ. أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ، أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ. وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَلَقَاتَلُوكُمْ.. فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ، فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لكم عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ۞﴾.

ليس شيأصرح وأوضح من هذا:

إذا اعتزلوكم ولم يقاتلوكم.. فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً...!!

وأما في حالة **أهل الحياد الكاذب** فقد قال تعالى في الآية ٩١ من سورة النساء نفسها:

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُم وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ، كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَىٰ ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا. فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ، وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ. فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ. وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً *﴾.

هذا هو النهج الرفيع مع أهل الحياد الكاذب...

وأما القاعدة القرآنية الداعية إلى قتال المقاتلين دون البدار الى العدوان، فقد جاءت في قوله تعالى ـ الآية ١٩٠ من سورة البقرة ـ قال عزّ من قائل:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ.. وَلَا تَعْتَدُوا.. إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ *﴾.

لاحظوا ـ أيها السيدات والسادة ـ كيف ربط الله أمر

القتال بالذين يقاتلوننا... ولاحظوا أنه حذّرنا من العدوان لأن الله لا يحبُّ المعتدين!!

وأما في حالة المودة والعدل والبرّ، فاقرأوا هذه الآية القرآنية الرائعة ـ الآية ٨ من سورة الممتحنة ـ قال تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ ٱللهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ.. وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ.. أَنْ تَبَرُّوهُمْ.. وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ. إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ *﴾.

إن الله سبحانه وتعالى، لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدِّين... ولم يخرجونا من ديارنا.. أن نبرّهم.. ونقسط إليهم ـ أي أن نعدل فيهم ومعهم ـ ذلك لأن الله يحبُّ المقسطين العادلين..

وأما الآية التي قبلها، وهي الآية السابعة من السورة نفسها فقد قال الله تعالى فيها:

﴿عَسَى ٱللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ.. مَوَدَّةً.. وَٱللهُ قَدِيرٌ.. وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *﴾.

ويقول إمام المفسرين الإمام ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين - ج ٤ ص ٣٧٣ - ما يلي بالنص الحرفي قال:

«يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة**﴾ أي محبة بعد البغضة، ومودّة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة. [والله قدير] أي على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة...».

ويتابع الإمام ابن كثير في نفس السياق فيقول:

«وفي الحديث - النبويّ - **أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»، وأضاف قائلاً: قال الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا

وأما الإمام الطّبري، الذي يسمّيه العلماء بـ«الإمام الكبير والمحدّث الشهير، من أطبقت الأمة على تقدّمه في التفسير» فقد قال في تفسير هذه الآية الكريمة (ج١٢ ص ٤٣) ما يلي بالنّصّ الحرفي قال:

«حدثني يونس... عن ابن زيد، وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿لا ينهاكم الله - الآية -) فقال: هذا قد نُسخ.. نسخه القتال.. أُمروا ان يرجعوا إليهم بالسيوف، ويجاهدوهم بها، ويضربوهم... وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر...: إما المذابحة، وإما الإسلام».

ويعقب الإمام الطبري على هذا القول فيقول في الصفحة ذاتها ما نصه:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب. قول من قال: [عنىٰ بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرّوهم، وتَصِلُوهم، وتقسطوا إليهم.. إن الله عز وجلّ عمَّ بقوله الذين لم يقاتلوكم في الدِّين. ولم يخرجوكم من دياركم،

جميع من كان ذلك صفته فلم يخصِّص به بعضاً دون بعض. . ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ لأن برّ المؤمن من أهل الحرب. ممن بينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرّم ولا منهيّ عنه، إذا لم يكن في ذلك، دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح]».

وتابع الإمام الطبري فقال ما نصه:

«وقد بيّن صحة ما قلنا في ذلك. الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأُمّها، وقوله: إن الله يحب المقسطين، يقول: إن الله يحبُّ المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم ويحسنون إلى من أحسن إليهم».

هذا ما قاله الإمام الطبري بنصِّه في تفسير هذه الآية العظيمة، وأما قصّة (أسماء وأُمّها) فقد فصّلها الإمام الطبري في الصفحة ذاتها فقال:

«عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: نزلت (يعني هذه الآية) في أسماء بنت أبي بكر. وكانت لها أُمٌّ في الجاهلية، يقال لها (قتيلة ابنة عبد العزّى). فأتتها بهدايا: صناب، وأقط، وسمن. فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلي عليّ حتى يأذن رسول الله ﷺ. فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين. . . إلى قوله: المقسطين﴾.

مجرد الكفر. . ليس مبيحاً للدم

يتضح من كل ما تقدم، أن مجرّد الكفر لا يمنع من البِرّ، ولا يمنع من العدل، ولا يمنع من المودّة، إلا إذا كان هنالك محاربة أو مناصرة للأعداء على المسلمين. وهناك مفسِّرون وفقهاء وعلماء كثيرون قالوا بهذا القول، ولم يقرُّوا بأن (آية السيف) أو (آية القتال) قد نسخت كل تعاطف أو تعاون أو توادّ مع غير المسلمين. ولقد فصّل هذا بدقّة ووضوح - شيخ الجامع الأزهر الإمام الشيخ

محمود شلتوت. فقال في كتابه: «الإسلام عقيدة وشريعة» ـ ص ٢٨١ ـ ما يلي بالنص الحرفي:

«إن الحدود لا تثبت بالآحاد، **وإن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم**، وإنما المبيح للدم، **هو محاربة المسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم**. وإن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات. تأبى **الإكراه على الدين**، فقال تعالى ـ الآية ٢٥٦ ـ من سورة البقرة ـ :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ. . قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلغَيِّ﴾.

وقال سبحانه ـ الآية ٩٩ من سورة يونس ـ:

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ. حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

هل يُقتل المسلم. . إذا قتل كافراً

ثم إن هناك موضوعاً مهماً قد اختلف فيه فقهاء المسلمين وعلماؤهم، وتداوله بعضهم على أنّ المسلم لا

يُقتل بكافر، وقد استندوا في هذا إلى نصوص مأثورة اختلفوا في تفسيرها، وبينها حديث نقرؤه في صحيح سنن النسائي، تخريج الألباني ـ ج ٣ ص ٩٨٤ ـ رقم الحديث ٤٤٢١ ـ طبع المكتب الإسلامي في بيروت ـ ومعه حديثان متماثلان برقم ٤٤١٩ و٤٤٢٠: قال:

عن الأشتر، أنه قال لعليّ: إن الناس قد تفشغ «انتشر واتسع» بهم ما يسمعون. فان كان رسول الله ﷺ عهد إليك عهداً فحدِّثنا به، قال: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ عهداً لم يعهده إلى الناس، غير أن في قراب سيفي صحيفة فإذا فيها.

«المؤمنون تكافأ دماؤهم. يسعى بذمتهم أدناهم، لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده».

ونلاحظ أن شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت قد خصص في كتابه «**الإسلام عقيدة وشريعة**» باباً كاملاً بثلاثة فصول (ص ٢٧٩ ـ ٣٨٣) شرح فيه مسلك الشريعة في تقرير العقوبات، وجريمة القتل في الإسلام والشرائع

الأخرى: وحُكم القرآن والسُّنَّة في القتل والقصاص، وقد أفاض واستفاض مما لا مجال لتفصيله في هذه المحاضرة ويستطيع من يريد التوسُّع في هذا الموضوع أن يعود إلى الجزء الثاني من كتابنا (تعاليم الإسلام بين الميسرين والمعسِّرين) ليرى الكثير الكثير من شؤون التعسير والتيسير، أو من شؤون المصلحة المستفادة التي تتناسب مع صحة النصوص وحاجات تطور الأحكام بتبدل الأزمان.

ويعتمد الإمام شلتوت في أساس بحوثه هذه على الآية ١٥١ من سورة الأنعام وفيها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. كما يعتمد على أحاديث كثيرة وبينها: «قتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق»..

وينطلق الأستاذ شلتوت حتى يقول في الصفحة ٣٢٩ ما يلي بالنص:

«إذا كانت النصوص السابقة، دلّت على حُرمة قتل

النفس مطلقاً. وحرمة قتل النفس المؤمنة على وجه خاص، فإن هذه نصوص صريحة في حرمة قتل النفس المعاهدة. وفي **أنها في العصمة عند الله. كالنفس المؤمنة سواء بسواء**».

ثم يروي الأستاذ شلتوت حديثاً عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهِداً لم يرح رائحة الجنة. وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً». [رواه أحمد والبخاري وغيرهما].

ويروي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا من قتل نفساً معاهدة. لها ذِمَّة الله، وذِمَّة رسوله، فقد أخفر ذِمَّة الله، ولا يرح رائحة الجنَّة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً». [رواه ابن ماجة والترمذي وصححه].

ويفسِّر الإمام شلتوت رحمه الله من هو المعاهِد، ومن هو الذِّميّ فيقول في الصفحة ٣٣٠ من كتابه المذكور ما يلي:

«والمعاهد هو الرجل من أهل دار الحرب. يدخل دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله حتى يرجع إلى مأمنه، ويدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وإن أحدٌ مِنَ المشركين استجارك فأجِرْهُ، حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه﴾». ويتابع قائلاً: «وهذا أقصى ما يمكن أن يُتوخى في سبيل المحافظة على العهد والأمان، وإذا كان هذا شأن الحربي ـ المشرك ـ يدخل بلاد الإسلام بأمان، فما بالك بالذِّمّي الذي يواطن المسلمين ويصير له ما للمسلمين وعليه ما عليهم»اهـ.

ولعل بين أوضح ما نتصوره في هذا الموضوع قول الله تعالى في سورة الحجرات الآية ١٣ . قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ. وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُم. إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

كما لا ننسى الحديث النبوي الرائع الذي رواه الإمام

أحمد بن حنبل وغيره بسند صحيح قال عليه الصلاة والسلام:

«أيُّها الناس، إنَّ ربكم واحد. وإنَّ أباكم واحد. كُلُّكم لآدم. وآدم من تراب. لا فضلَ لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربيّ، ولا لأحمر على أسود. ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى».

هذا ما قاله الله سبحانه، وما قاله رسول الله، فهل هناك ما هو أروع من هذا في المساواة بين الناس عامة، وأنه لا تفاضل بينهم في شيء إلّا بتقوى الله تعالى في كل الحقوق والذمم.

* * *

هذا هو مفهوم القتال ومفهوم العهد والميثاق في الإسلام، وهنا نحبُّ أن نسأل: أيّ عهد وأي ميثاق، أقوى وأبلغ عند الله وملائكته ورسله، من العهد والميثاق القائم ضمنياً بيننا وبين أهل الكتاب النصارى، الذين يشاركوننا ـ كما قلنا ـ في المواطنية والجوار، ودوام

التعامل معنا في مختلف شؤون العيش وسائر متطلبات الحياة، كما نعيش نحن مع عدد كبير منهم في ظل دولة واحدة، وعلى أرض واحدة، وتحت علم واحد؟!

الرسول وصيانة حقوق الجار

كيف نبيح لأنفسنا أن نغتالهم تحت شعار التَّمسُّك بالدين والتَّشدّد في التدين، لا تحت شعار غايةٍ دنيوية عادية. وذلك دون أن ندري أن هذا ليس من الدين في شيء، وليس من الإسلام في شيء، وليس من المسيحية في شيء.

إتقوا الله أيها الناس في دينكم.. وفي دنياكم، وبرّؤوهما من هذا التعسير المرفوض، وأحسنوا لله ولأنفسكم ولأهلكم وجيرانكم، ولوطنكم ومواطنيكم. إنَّ الله يحبُّ المحسنين.

وحتى من باب المجاورة فقط، أي بالنسبة لكونهم

جيراننا في القطر، أو في البلد، أو في الحيّ، أو في العمارة الواحدة، فإننا مدعوّون ـ كمسلمين ـ إلى معاملتهم معاملة الجار الطيب إلى الجار الطيب.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج ٢ ص ٢٨٨) قال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: قال:

«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟. قال: الجار لا يأمن جاره بوائقه، قالوا: يا رسول الله: وما بوائقه؟ قال: شرّه.

«آية السيف» وعلم الناسخ والمنسوخ

وأخيراً... نريد أن نتعرض إلى قضية مهمة جداً، تتناول ناحية من الشريعة الإسلامية عامة، كما تتناول موضوعنا هذا ـ أي موضوع التعاون والتعاطف بين مسلمي العالم ومسيحييه خاصة ـ.

إن معظم أئمة المسلمين وفقهائهم وعلمائهم، قد تعارفوا منذ صدر الإسلام على وجود «علم الناسخ والمنسوخ» في القرآن الكريم، وهذا معناه ان من الممكن أن نرى حكماً شرعياً في القرآن الكريم، قد نسخته وأبطلت حكمه آية قرآنية ثانية... فهذا هو الذي يسمى «الناسخ والمنسوخ».

وبالاعتماد على هذا المفهوم، جرى معظم الأئمة والعلماء والفقهاء على إصدار أحكامهم الشرعية، ووضعوها قيد التداول على انها حقيقة ثابتة لا شك فيها ولا ريب.

ونجد بين أخطر هذه الأحكام، وبين أشدّها تأثيراً على موضوع العلاقات الإنسانية. بكل وقائعها الكلّية والجزئية «حكم آية السيف» أو ما تسمّى بـ«آية القتال» فهؤلاء يقولون بأن «آية السيف» قد نسخت كلّ أحكام التعاون والتعاطف مع جميع البشر، بما فيهم أهل الكتاب، من النصارى واليهود والصابئين والمجوس وأمثالهم، وذلك من خلال

تقسيم الكرة الأرضية إلى قسمين، أحدهما يُسمّى «دار الحرب» والثاني يُسمّى «دار الإسلام» وبحسب هذا التقسيم أولاً، وبحسب تفسير «آية السيف» ثانياً، فإن حال مسلمي العالم يجب أن يبقى في حال حرب دائمة مع جميع سكان القسم الثاني من الكرة الأرضية، أي سكان «دار الحرب»، إلّا في حال موادعة أو مهادنة أو معاهدة. وإننا نعتقد أن هذا الموضوع أصبح يحتاج إلى «اجتهاد» جديد يتناسب مع التطورات الهائلة التي طرأت على العلاقات الدولية بكل ما تنطوي عليه من شؤون سياسية ودبلوماسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك.

لن نعتمد مفهوم دار الحرب

ونحن إذا اعتمدنا هذا المفهوم ـ ولن نعتمده أبداً إن شاء الله تعالى ـ فإنّ كلّ ما أوردناه في هذا البحث من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وأحكام شرعية قويمة، تتعلق بالدعوة إلى التعاون والتعاطف دينياً بين مسلمي العالم ومسيحييه أولاً، وبين مسلمي العالم

الإسلامي ومواطنيهم المسيحيين ثانياً، وبين مسلمي العالم العربي ومسيحييه ثالثاً، يكون قد ذهب أدراج الرياح بسبب «آية السيف» التي اعتمدها ذلك الفريق لنسف كل تعاونٍ أو تعاطف، من خلال تفسير متطرف قائم على التعسير لا على التيسير.

ولأننا نعتقد بأن الحكم الشرعي بهذه الطريقة يعتبر «حكماً غير عادل» بجميع الأدلّة القطعيّة والظنيّة التي نملكها، فقد رأينا أن نقدّم ـ باختصار ـ حكمنا هذا، ليطّلع عليه أهل العلم والفقه والرأي أولاً، وعامة المسلمين والمسيحيّين وأهل الكتاب كلّهم ثانياً، على أن نعود إلى هذا الموضوع بما يلزم من تحقيق وتفصيل وتقرير عندما يأذن الله لنا بذلك، في مناسبة أخرى إن شاء الله.

يجب علينا قبل كل شيء أن نورد «آية السيف» بنصها القرآني الكامل، لنكون مطّلعين على أساس ماهيّة هذا البحث، و«آية السيف» ليست وحدها، بل هي ضمن ست آيات من أول سورة «التوبة» نوردها كلّها فيما يلي، قال الله تعالى:

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي ٱلأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ. وَأَنَّ ٱللهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ. إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلأَكْبَرِ. أَنَّ ٱللهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ. فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ. وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً. وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً. فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ. إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ *﴾.

وهذه آية السيف:

﴿فَإِذَا ٱنْسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ. فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. وَخُذُوهُمْ. وَٱحْصُرُوهُمْ. وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ. فَإِنْ تَابُوا. وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ. وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ. إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *.

والآية السادسة هي آية الختام في هذا الموضوع وهي فيما يلي:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ. فَأَجِرهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللهِ. ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۞﴾.

فبموجب «آية السيف» هذه، نسف هؤلاء كل آيات التعاون والتعاطف مع النصارى وجميع أهل الكتاب، وصار من معتقدهم الثابت أن يقتلوا الكفار المشركين حيث وجدوهم، وأن يأخذوهم. ويحصروهم. ويقعدوا لهم كلّ مرصد. وهذا ما يفسر لنا جميع أعمال القتل والخطف والارهاب التي جرت ـ ومثا زالت تجري ـ فوق معظم الأراضي العربية والإسلامية والأجنبية، لأن بعض علماء المسلمين لا يفرّقون بين المشركين والنصارى، مع أن هذا من اختصاص الله تعالى. فهو صاحب الكلمة الفصل فيما بينهم يوم القيامة. علماً أن القرآن الكريم قد فرق بين المشركين والنصارى في مواضع عديدة كما بيّنا ذلك آنفاً.

قبل كل شيء نحب أن نوضح بأن موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ليس موضوعاً مجمعاً عليه

بين أهل العلم، فهناك علماء كثيرون يقولون إنه لا نسخ أبداً في القرآن، فكلّ ما فيه من آيات محكمات أو متشابهات. هي آيات ثابتة دائمة أزلية. تصلح لاستنباط الأحكام الشرعية منها، بحسب ما تقتضيه الوقائع والحوادث والأحوال والأزمان. في كل عصر وآن. مع مراعاة تغيّر الأحكام بتبدل الأزمان.

ولكي لا نطيل البحث حيال تأكيد هذا القول. فإننا نحيل القارىء الكريم ـ بالإضافة إلى ما ذكرناه قبلاً ـ إلى مصدر واحد من المصادر التي تؤكد عدم وجود أيّ نسخ لأي آية في القرآن الكريم، ونختار هنا كتاب «لا نسخ في القرآن... لماذا؟». [تأليف عبد المتعال الجبري. طبع مطبعة التضامن في القاهرة عام ١٩٨٠ ـ نشر مكتبة وهبة] وفيه يقول في الصفحة ١٨ ما يلي:

«اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يصار إلى القول بالنسخ إلّا إذا لم يمكن التوفيق بين الآيات. وإثبات أنه لا تعارض فيها... وقد استقرأت جميع الآيات التي قيل فيها

بالنسخ، وأمكنني التوفيق وإثبات أنه لا تعارض بينهما، وبهذا أصبح القول بوجود «ناسخ ومنسوخ» أمراً لا يصحّ أن يصار إليه أو يقال به».

وقد أورد هذا المؤلف عدداً من الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة «النسخ» فأوضح المعنى المراد منها، وبينها الآية التالية:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا، نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾(١٧).

وفي هذه الآية يقول: «إنها ليست نصّاً في أن المراد بالنسخ هو النسخ للآية القرآنية، فقد حُكي عن محيي الدين أبي بكر بن عربي أنه قال: «المراد بالآية في هذا الموضع إنما هو المعجزة». وقد تابعه في ذلك الإمام الشيخ محمد عبده. وكان هذا رداً على كفار قريش الذين طلبوا آيةً ـ أي معجزة كونية مادية ـ مثل الآيات الكونية التي صنعها الله لإثبات نبوة الأنبياء السابقين».

(١٧) سورة البقرة، الآية ١٠٦.

وما يقوله مؤلف هذا الكتاب في هذا المعنى صحيح. إذ أن كلمة «آية أو آيات» قد وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، يتأكد منها معنى المعجزة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ، وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾(١٨). فهل الآيات هنا آيات قرآنية؟ أم هي آيات كونية مادية هي في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار؟!.

والبحث في علم الناسخ والمنسوخ، بحث طويل جداً، تحدثنا عنه بشيء من التفصيل في الفصل السادس من الجزء الثاني من كتابنا [تعاليم الإسلام بين الميسِّرين والمعسِّرين] تحت عنوان (رجم الزاني وقطع السارق) حدّان للترهيب لا لبداهة التنفيذ! [ندوة علمية حول النسخ في الشريعة الإسلامية]، نكتفي الآن بهذا القدر منه، لنثبت أن «آية السيف» التي تقول بقتل المشركين وحصرهم والقعود لهم كل مرصد. ليست مما ينطبق عليه مفهوم النسخ.

(١٨) سورة آل عمران. الآية ١٩٠.

التعاون والتعاطف ضرورة إنسانية حضارية

ثم إذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمشركين والملحدين، فكيف يكون الحال بالنسبة للنصارى وجميع أهل الكتاب؟! ألسنا مدعوّين للإستقامة لهم ما داموا مستقيمين لنا..؟ دون تحديد المدة أو الأجل.

بل كيف يكون الحال مع الذين يشاركوننا في أوطاننا من النصارى وجميع أهل الكتاب، الذين لا ينقضون العهد بيننا وبينهم، ولا يظاهرون أعداءنا علينا لأننا نعيش وإياهم، على أرض واحدة، في ظلّ دولة واحدة، وفي بلد واحد وتحت علم واحد، أليس هؤلاء هم الأجدر بالإستقامة لهم، ما داموا مستقيمين لنا؟!..

وأكثر من هذا نلاحظ أننا مدعوُّون كمسلمين إلى أن نجير من يستجير بنا من المشركين، وأن نحميه ونرعاه على شِرْكه، حتى يسمع كلام الله، ثم إن علينا أن نُبلغَه مأمنه بدون أي أذىً في دمه أو جسمه أو ماله.

لا.. لا يجوز لنا أن نمارس أيّ ظلم، ولا أن نقترف أي ذنب بحق أهل الكتاب عموماً، وبحق النصارى خصوصاً، لأن هذا هو الإسلام الصحيح في بليغ معانيه، وسموّ مقاصده، وبهذه الروح، دعونا وسنظلّ ندعو بإذن الله تعالى، إلى نبذ الظلم والحقد والكره، وإلى إقامة أوثق عرى التعاون والتعاطف ـ دينياً ـ. بين مسلمي العالم ومسيحيّيه، سائلين الله تعالى أن يوفق الجميع إلى ما يحبّه ويرضاه.

قال تعالى في سورة يوسف ـ الآية ١٠٨ ـ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي. أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرةٍ. أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. وَسُبْحَانَ اللهِ. وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞﴾

نقول هذا بلغة الميسّرين. ولو كرِهَ ذلك منا المعسّرون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

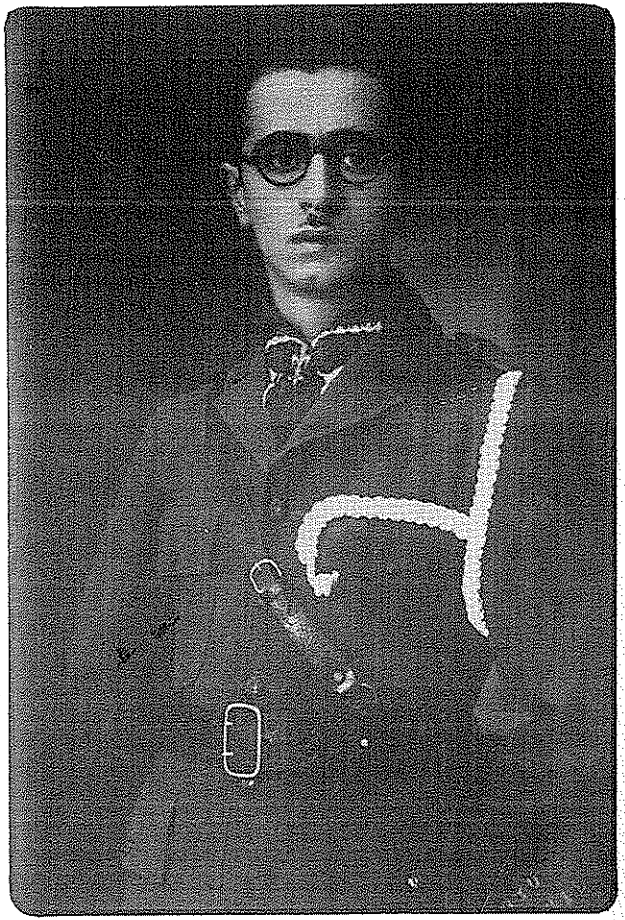

المفكر الإسلامي
الأستاذ بشير العوف

- عضو عامل في جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان.
- قائد فرقة المأمون لكشاف سورية عام ١٩٣٩ - ١٩٤٢م.
- عضو اللجنة الإدارية العليا لكشاف سورية.
- صاحب ورئيس تحرير جريدة «المنار» بدمشق.
- عضو المجلس الأعلى العالمي للاعلام الإسلامي.

* * *